وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

دور مؤرخي البلاط في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر تخصص: دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد الطالبين:
الحاج غيدي
مراد عريبي

إشراف الأستاذ:
حمزة عبد الصمد

السنة الجامعية:1436-1437هـ /2015-2016م

المقدمة

مقدمة:

أولى الموحدون عنايتهم لدور التاريخ في تقديم تجربتهم فكريا وسياسيا، لذا شجع حكامها المؤرخين على جمع أخبار دولتهم وتدوين آثارها منذ عهد داعيها ابن تومرت.

وقد صنفت كتب في التاريخ بأقلام مؤرخين عاصروا الدولة الموحدية أو عاشوا في ظلها، بل منهم من شارك في صنع أحداثها وتاريخها، إذ تميز العصر الموحدي عن العصور السابقة بالمغرب الإسلامي بالتشجيع الواضح لعملية التأريخ الرسمي، عبر مجموعة من المؤرخين الذين آمنوا بحظ دولتهم الفكري، في تدوين أخبارها، وتبرير أعمالها وتوجيه تصرفات حكامها وكانوا بمثابة مؤرخي بلاط وإن شئنا فلنقل بمثابة "وسائل إعلام رسمية "تعتمد صوت الدولة الموحدية وتكتب تاريخها بوحي من سلاطينها وأمرائها، وتحت تأثير تعاليم ابن تومرت وعقيدته، لذا جاء موضوع بحثنا بعنوان: دور مؤرخي البلاط في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي.

أسباب إختيار الموضوع:

كانت هناك عدة أسباب تضامنت لتدفعنا في النهاية إلى البحث في هذا الموضوع والسعي إلى تقديم دراسة علمية وافية عنه، وهي كالتالي:

1- الرغبة الجامحة في إماطة اللثام على فئة من فئات المجتمع التي كان لها الإسهام الأكبر في رسم الصورة التاريخية للدولة الموحدية والمتمثلة في مؤرخي البلاط.

2- تلك العناية التي أولاها الموحدون لدور التاريخ لدعم تجربتهم فكريا وسياسيا وتمجيد انتصاراتهم، والتبشير بمشروعهم الإصلاحي، فشجعوا على جمع أخبار دولتهم، وتدوين آثارها منذ عهد ابن تومرت، مع الحرص على تقديم صبغة رسمية موحديه لتاريخهم، إدراكا منهم فيم يبدو لأهمية التاريخ،كسند ودعم أفكارهم، وأهداف دعوتهم.

أهداف الدراسة وأهميتها:

لذا جاءت هذه الدراسة لتعنى بمؤرخي البلاط الموحدي ودورهم العلمي –الذين آمنوا بفكر ابن تومرت– وأخذوا يذودون عن دولتهم بأقلامهم ويوفرون الدعاية اللازمة لحكامها ولأعمالهم ويسهمون في رسم صورتها داخليا وخارجيا، وتكمن أهمية الموضوع في التعرف على نخبة من المؤرخين، الذين كانت لهم بصمات واضحة في تدوين التاريخ الموحدي بصفة خاصة، وتاريخ المغرب والأندلس بصفة عامة، بالإضافة إلى أن مؤلفاتهم تمثل مادة خام، بالنسبة للتاريخ

الموحدي، وسنحاول الكشف عن مذاهب وأفكار ودوافع مؤرخي البلاط الموحدي ومدى مساهمتهم في رسم الصورة التاريخية للدولة الموحدية.

الإشكالية:

وللإلمام بجوانب موضوعنا هذا كان لزاما علينا وضع إشكاليه رئيسة تتمحور حول : الدور الذي لعبه مؤرخو البلاط في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي؟

وتندرج تحتها تساؤلات ثانوية: كيف اثر فكر وعقيدة ابن تومرت على مؤرخي البلاط؟

وفيم تمثلت آثار مؤرخي البلاط؟

الدراسات السابقة:

مما لاشك فيه أن الدراسات التاريخة القائمة على الاستنتاج والربط والتعليل، لتصل إلى تكوين الفكرة ومناقشتها من الصعب أن تتوافق مع دراسات أخرى، أو حتى تتشابه معها كثيرا في الطرح والتناول.

وقد حاولنا ما بوسعنا أن نتتبع العديد من الدراسات المتفرقة التي لامست الموضوع أو أشارت إلى بعض عناصره، بما يفيدنا في رسم الإطار العام للدراسة، وإتجاهات البحث فيها.

- "**الدعوة الموحدية بالمغرب**" تأليف عبد الله علي علام.
- "**المهدي ابن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**" تأليف عبد المجيد النجار
- "**حضارة الموحدين**" تأليف محمد المنوني.
- "**المغرب عبر التاريخ**" تأليف إبراهيم حركات.

المنهج المتبع في الدراسة:

إن دقة النتائج التي يتوصل إليها الباحث وقيمتها في أي دراسة تتوقف على مناهج البحث التي يستخدمها الباحث،غير أن ما يشهده ميدان البحث من التعدد في المناهج الحديثة ،يصبح الحديث عن اعتماد منهج بعينه أمرا محفوفا بتحفظات ،لذا جاء اعتمادنا على منهج خاص يفي بهدف البحث هو المنهج التاريخي القائم على السرد واستخراج المعلومات من المصادر والمراجع وفهمها وتحليلها والتسلسل للأحداث زمنيا.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

وللإجابة على الإشكالية السابقة وبفضل المادة العلمية التي توفرت لدينا يمكن دراسة الموضوع ولم شتاته في ثلاث مباحث وهي:

تطرقنا في المبحث الأول إلى الحياة العامة في بلاد المغرب ابتدأناها بلمحة موجزة عن قيام الدولة الموحدية ثم تحدثنا عن فكر وعقيدة ابن تومرت قبل أن نعرج عن إسهامات خلفاء الدولة الموحدية في الحياة العلمية.

وأتبعنا ذلك بمبحث ثاني والذي خصصناه لترجمة مؤرخي البلاط الموحدي استهليناه بترجمة لأبو بكر الصنهاجي ثم ابن صاحب الصلاة فعبد الواحد المراكشي وأخيرا ابن القطان الفاسي.

وأفردنا المبحث الثالث للدور الذي لعبه مؤرخو البلاط في كتابة تاريخ الدولة الموحدية والذود عنها من خلال مصنفاتهم التاريخية ودورهم الدعائي والعوامل المؤثرة في توجيه كتاباتهم وأثر ذلك في رسم الصورة التاريخية للدولة الموحدية.

وأنهينا البحث بخاتمة هي خلاصة ضمناها أهم النتائج المتوصل إليها،ودعمنا المذكرة ببعض الملاحق المتعلقة بالموضوع.

نقد أهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا في إنجاز مذكرتنا على مجموعة من المصادر منها ماهي عامة عن بلاد المغرب والأندلس أو خاصة بتاريخ بالموحدين ومن جملة هذه المصادر:

– **"أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين"**لأبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق وهومن أتباع ابن تومرت وقد شارك في صنع الأحداث بنفسها حيث يعتبر مصدر البحث الأساسي إذ رافقنا في جميع المباحث ،وكانت استفادتنا منه في رسم معالم تاريخ الموحدين بصفة عامة وفي التعرض لترجمته بصفة خاصة.

– **"المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب"**وهو لنفس المؤلف ويمكن أن ندرجه ضمن كتب السير والتراجم إذ يتناول نسب كل من ابن تومرت وعبد المؤمن وأصحابهم.

– **كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب** لأبي محمد عبد الواحد المراكشي ،واتصاله برجالات الدولة الموحدية واهتمامه بأعمالهم،فكان الاعتماد عليه في جميع مباحث المذكرة وخاصة في ترجمته ،لأن ترجمته غير موجودة تقريبا في كتب السير والتراجم فكان الاعتماد على "معجبه"، كما أشار إلى ذلك محمد سعيد العريان محقق الكتاب.

صعوبات الدراسة:

ولابد من وجود نقائص وهفوات تعبر عن صعوبات موضوعية وأخرى ذاتية ،من بينها التكلف والمبالغة في اللفظ والأسلوب الذي وجدناه في بعض المصادر حتم علينا الفهم اللغوي ،قبل فهم المضمون واستخراج المطلوب بالإضافة إلى عدم وجود مراجع متخصصة في الموضوع خاصة فيما يتعلق بالترجمة لمؤرخي البلاط الموحدي مما حتم علينا اللجوء إلى مصادرهم وقراءتها قراءة دقيقة ، للحصول على ترجمة لهم.

وهكذا نجد أن موضوعنا ماهو إلا قطرة من بحر، وهو بداية لمشوار طويل من البحث والجهد وما هو إلا لفتة صغيرة ألى موضوع هام في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، نتمنى من الباحثين الطلبة المتناولين له مستقبلا التوسع أكثر، وأن يتداركوا النقائص التي لا يخلو منها بحثنا.

المبحث الأول: قيام الدولة الموحدية (الأسس، العقيدة)

أولا: لمحة موجزة عن قيام الدولة الموحدية.

ثانيا: فكر وعقيدة ابن تومرت.

ثالثا: إسهامات خلفاء الموحدين في الحياة العلمية.

خلال القرن السادس الهجري خضع المغرب الإسلامي لسلطة الموحدين، و كان لشخصية محمد بن تومرت الدور الكبير في ذلك بفضل فكره، وخلفه عبد المؤمن بن علي الذي وطد دعائم دولته، وتعاقب بعدها خلفاء ساروا على نفس النهج بدرجات متفاوتة، فقد أولوا عنايتهم بالعلوم بصفة عامة وبدور التاريخ في تقديم تجربتهم فكريا وسياسيا بصفة خاصة.

أولا: لمحة موجزة عن قيام الدولة الموحدية:

تأسست الدولة الموحدية على يد محمد ابن عبد الله المعروف باسم "ابن تومرت "[1]، الهرغي[2] السوسي[3] الملقب بالمهدي بين أحضان قبائل مصمودة بالمغرب الأقصى، في شكل حركة دينية سياسية، وكان ذلك بداية القرن السادس الهجري، هدفها إقامة خلافة إسلامية تعود بالمسلمين إلى عهد الخلفاء الرشدين، مركزة على الدعوة إلى التوحيد الخالص، ولذلك أطلق ابن تومرت، ولذلك أطلق ابن تومرت على أنصاره إسم الموحدين وسميت الدولة التي قامت إثر دعوته "دولة الموحدين".

وقد تحدثت أغلب المراجع عن حياة محمد ابن تومرت، الذي درس بالمشرق علوم الدين واللغة، حتى سنة 510هـ، رجع إلى المغرب، وفي أثناء عودته عرج على العواصم العلمية والسياسية، كمصر وطرابلس والمهدية وتونس وقسنطينة وبجاية وتلمسان وفاس ومراكش، وحيثما حل جهر بدعوته، مدرسا، وآمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر[4]، كما اعترض على سياسة الدولة المرابطية في بعض الأمور التي رآها مخالفة للشرع فأعلن ثورة عنيفة غيرت التاريخ في المغرب الإسلامي كله[5]، وبعثت الحياة في الحضارة الإسلامية بما أدخلته من الأصول الجامعة وترك الفروع المفرغة للأراء، في ظرف سياسي خطير كانت تمر به الدعوة الإسلامية، فهذه الدولة العباسية آلت إلى الإنقسام والأفول وتلك دولة الفاطميين تنازعها، وهؤلاء المرابطون يسيطر أهل الفروع من الفقهاء على حياتهم السياسية، والصليبون يشنون حملات مستمرة في الشرق فأدرك ابن تومرت هذا الوضع فعزم على تغييره، فجعل

---

[1]– تعني بلسان البربر الفرح، ينظر عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، بيروت، ط 6، 1983، ص 3.

[2]– نسبة إلى قبيلة هرغة البربرية، ينظر عبد الحميد النجار، **المهدي ابن تومرت**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1983 ص 30.

[3]– نسبة إلى السوس بلاد قوم ابن تومرت بالمغرب الأقصى، ينظر المرجع نفسه، ص 30.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 3.

[5]– ابن تومرت(ت 524هـ)، **أعز ما يطلب**، تح عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب،دط، الجزائر، 1985، ص 1.

هدفه إنشاء دولة إسلامية قوية لصد المد الصليبي[1]، المهدد لوجود المسلمين، تحافظ على عظمة الخلافة الإسلامية، فشرع بعد عودته إلى المغرب في تأسيس دولته، وأفاض عليها صبغة المهدوية[2]، وهذه العقيدة نجح بها الفاطميون قبله في تأسيس دولتهم بالمغرب، كما استخدمت هذه الفكرة في أنحاء من العالم الإسلامي على مدى الأزمان في القضايا السياسية المصطبغة بالدين ونادى بطاعة الإمام وعصمته على طريقة الامامية في ميدان السياسة والاجتماع واستخدم التأويل العقلي على طريقة الأشاعرة والمعتزلة، وهاجم طريقة الفقهاء المغاربة ووصفهم بالتجسيم لأخذهم النصوص على ظاهرها دون تأويل وجمودهم على الفروع الفقهية دون ربطها بأصولها، متهما خصومه المرابطين بترك الكتاب والسنة والاعتماد على الرأي الذي لا سند له من الشرع يدعمه بقول المهدي:" وأما أصول الفتن فهي الإفتراق وعدم الاجتماع والاختلاف وعدم الاتفاق وحفظ سواء الحروف وتضييع حدود القرآن، وإتباع رسوم العبارات وإهمال معانيها..."[3].

وقد أعانه على نشر فكرته بالمغرب رجلان عظيمان شهامة وعلما هما أبو محمد عبد الله من الونشريسي[4]-نسبة إلى جبل الونشريس جنوب بلدة الشلف- وكان عالما فصيحا باللغتين العربية والبربرية توفي في حصار مراكش سنة 524هـ أي في السنة التي توفي فيها ابن تومرت، والثاني هو عبد المؤمن بن علي التاجري[5]، الذي جمعه القدر بابن تومرت ببجاية وخرج الرجلان إلى متيجة فونشريس فتلمسان فبلغا هرغة سنة 514هـ[6].

اجتهد ابن تومرت في القضاء على دولة المرابطين بالمغرب الأقصى إلى أن تغلب عليهم فبايعته قبائل مصمود بالإمارة سنة 516هـ حتى وفاته سنة 524هـ.

---

[1]- رشيد بورويبة و أخرون، **الجزائر في التاريخ**، ج 3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 1984، ص 301

[2]- أحصى الإمام ابن حجر25حديثا في شأن المهدي لم تثبت صحتها، نقلا عن عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 3.

[3]- ابن تومرت، المصدر السابق، ص 1.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج 2، ص 4.

[5]- **التاجري**: نسبة إلى تاجرة وهي ضيعة من أعمال تلمسان بنواحي ندرومة ولد بها عبد المؤمن، ينظر عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ص 7.

[6]-مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1976، ص 674.

ثم بايع الناس عبد المؤمن بن علي الذي تمكن من إحكام قبضته بالمغرب الأقصى سنة 524هـ معلنا شروق دولة جدية هي دولة الموحدين وتلقب عبد المؤمن بن علي بلقب "خليفة" وقد تمكنت هذه الدولة من ضم الأندلس إليها حيث عبر عبد المؤمن إلى الأندلس واستقر في اشبيلية وسيطر على قرطبة وقاوم الموحدون الإسبان، فوفقوا حينا ولم يوفقوا حينا أخر ومن أعظم معاركهم مع الإسبا معركة الأرك، وقد تماسكت جبهة الأندلس بعد تضحيات جسيمة أيام الخلفاء الموحدين الثلاثة الأوائل.

كما توحد المغرب الإسلامي سياسيا ومذهبيا، وأصبح ذا ثقافة واحدة وعقيدة واحدة هي الأشعرية ومذهب في الفقه واحد وهو مذهب الإمام مالك ما عدا جماعة الإباضية التي بقيت متمسكة بآرائها الفقهية والعقائدية القريبة من عقيدة أهل السنة.

وتعتبر دولة الموحدين أول دولة بربرية ادعت الخلافة وانحصرت الخلافة فيها بعد رحيل ابن تومرت في بني عبد المؤمن.

وقد نشأ عبد المؤمن التاجري الكومي الندرومي التلمساني في أسرة فقيرة يطلب العلم في بلده ثم هاجر في سبيل ذلك، احترف تعليم الصبيان، وأخذ العلم عن ابن تومرت ببجاية[1]، وهذه المدينة هي التي آوت المهدي ابن تومرت عند رجوعه من المشرق في طريقه إلى المغرب وبها اجتمع بتلميذه وولي عهده عبد المؤمن بن علي، فإذا كان ابن تومرت هو صاحب دعوة الموحدين والثائر على دولة المرابطين، والواضع لخطط الثورة، فإن عبد المؤمن هو رجل الدولة الذي اضطلع بتنفيذ جميع برامج الثورة والاستيلاء على دولة المرابطين[2].

فقد أعطى المغرب الأوسط رجلا عظيما، أسس الملك وقاد الانتصارات فوحد المغرب والأندلس وهو من أبرز قادة العصور الوسطى في الحروب والإدارة والسياسة[3] ولقد صدق المهدي حين قيل قيل له إن الموحدين قد هلكوا، وذلك في موقعة البحيرة التي حاصر المرابطون فيها مراكش

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 7.

[2]– عبد الله كنون، **النبوغ المغربي**، ج 1،دار الكتاب اللبناني، ، ط 3، لبنان، ص 113.

[3]– يحي بوعزيز، **جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية**، مجلة الأصالة، الجزائر، رقم 26، ص 287.

ومات فيها معظم أصحابه فقال: "ما فعل عبد المؤمن؟" قيل هو على جواد قد أحسن البلاء، قال: "مابقي عبد المؤمن فلم يهلك أحد..."[1].

وفعلا وبفضل حنكة عبد المؤمن ثم القضاء على المرابطين بمراكش، وعلى الحماديين ببجاية وعلى حكم النورمان بالمهدية بتونس، وقضى على طموح بني هلال ووحد بلاد المغرب والأندلس ثم تفرغ لأطماع النصارى.

وقد بلغ جيش الموحدين نصف مليون جندي وأربعمائة مركب، وفي عهد أبي يوسف المنصور ثالث خلفاء الموحدين بلغت الدولة الموحدية أوجها في العز والمنعة، وسمي هذا العصر بالعصر الذهبي، فقد اتسع العمران في عهده وبنيت المساجد والقلاع والمستشفيات والقناطر، وأجريت المرتبات على الفقهاء وطلبة العلم[2].

ولما توفي أبو يوسف يعقوب المنصور سنة 595هـ خلفه ابنه محمد الناصر وفي عهده أخذت دولة الموحدين في الانهيار[3]، فقد اشتبك مع الأسبان في معارك هزم فيها، وكان أشدها وقعا تلك التي جرت سنة 609هـ والتي عرفت بوقعة العقاب وتتابعت هزائم الموحدين.

ولم يطل عهدهم حتى استولى بنو مرين على دولتهم سنة 668هـ، حيث تقاسمت دولة الموحدين ثلاث دويلات، الحفصية والزيانية، والمرينية.

---

[1]– عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 113.

[2]– جمال طه، **الحياة الإجتماعية في المغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصري المرابطين والموحدين)**، دار الوفاء لطباعة والنشر، ط 1، الإسكندية، 2004، ص 363.

[3]–كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار العلم للملايين، 1948، ط 1، ص 329.

2–فكر وعقيدة ابن تومرت:

شهد العام الإسلامي، منذ عصر صدر الإسلام، حتى عصرنا الحاضر، بظهور العديد من الدعوات والدول التي لبست ثوب الإسلام، واتخذته شعاراً ظاهراً، لتحقيق مطامح ومطامع خفية وكان أبرز هذه الدعوات دعوة ابن تومرت ببلاد المغرب.

ولد محمد بن عبد الله ابن تومرت الصنهاجي في الثلث الأخير من القرن الخامس الهجري ببلاد المغرب الأقصى، وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة مولده[1].

ويتفق المؤرخون الذين ترجموا لابن تومرت على أنه ينتسب إلى قبيلة هرغة، وهي بطن من بطون القبيلة البربرية الكبرى مصمودة واختلف فيما إذا كان هذا النسب بربريا خالصا أو منتسبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأورد ابن القطان نسبه كما يلي " محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي بن أي طالب"[2].

أما اسم محمد الذي ينسب إلى ابن تومرت لم يكن محل اختلاف بين المؤرخين الذين ترجموا له، مثلما ذكر ابن أبي دينار "ذكر المؤرخون أن المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ...").

ورغم أن المهدي لم يتزوج ولم ينجب أولادا، فإن بعض المصادر تذكر أنه كانت له كنية هي "أبو عبد الله" وهو أمر يمكن تفسيره بعادة عربية في كنيته من لا أبناء له بأبي عبد الله تفاؤلا أو تعظيما.

وذكر ابن القطان أنه كان يلقب في صغره عندما كان يقرأ في الكتب "بأسفو" ومعنى أسفو بالبربرية الضياء لملازمته إبقاء القنديل في المسجد للقراءة والصلاة[3].

أما ما اشتهر به من لقب المهدي فإنه لم يطلق عليه إلا حينما أظهر المهدية وبايعه بها الناس وحسب ما ذكره عنه البيذق فإن بيعته كإمام مهدي قد تمت في مصر، وهي ما يعرف بالمرحلة السرية[1].

---

[1]– ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغنى للنشر، (د، ط)، الرباط، 1997، ص22.

[2]– عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 23.

[3]– نفسه، ص 14.

حفظ ابن تومرت القرآن الكريم ، ودرس بعض العلوم الإسلامية في بلاد المغرب في صباه، ثم ارتحل سنة 501 هـ حيث زار قرطبة ودرس كتب ابن حزم الظاهري[2] .

ثم ارتحل بعد ذلك إلى المشرق، حيث تنقل بين عواصمه الثلاث بغداد و مكة و القاهرة [3] وقد أفاد من هذه الرحلة علماً غزيراً لاسيما في العلوم العقلية واللسانية[4]، حيث أعانه على ذلك ذكاؤه المفرط ، ومثابرته وهمته العالية[5].

وفي طريق عودته إلى المغرب من بلاد المشرق مرّ بمكة، وفيها بدأ دعوته حيث أخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يذكر ابن العماد الحنبلي أنه بدأ أولا الإنكار بمكة فآذوه فقدم مصر...)[6].

هكذا كانت بداية ظهور دعوة ابن تومرت، أما الوضع السياسي لبلدان العالم الإسلامي في تلك الفترة – مطلع القرن السادس الهجري – فقد كان وضعا مضطربا فالخلافة العباسية بالمشرق قد دبّ فيها الضعف، كما أن دولة العبيديين الشيعية بمصر قد كرهها الناس بسبب غلو حكامها وتشططهم العقدي، إلى جانب أعمالهم العدائية ضد أهل السنة.

أما بلاد المغرب والأندلس فكانت في تلك الفترة تخضع لحكم دولة المرابطين، واتجاهها اتجاه سني، حيث كان يتولى أمرها آنذاك السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (500 – 537هـ) وكان ورعا

---

[1]– بن تومرت، المصدر السابق، ص 22.

[2]– عبد الواحد المراكشي(ت 647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د، ط)، الجمهورية العربية المتحدة(سابقا)، 1962م، ص249.

[3]– نفسه، ص 250.

[4]– أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان(ت 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج 5، تح إحسان عباس، دار صادر،(د، ط)، بيروت (د،ت)، ص 46.

[5]– عبد الله علام، **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن**، دار المعرفة، ط 1، القاهرة، 1964م، ص46.

[6]– أحمد بن محمد بن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج 4، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (د،ط) بيروت، (د،ت)، ص 70.

وذو شخصية محببة لدى الرعية، وهذا ما جعل الطريق صعبا أمام ابن تومرت الذي بدأ ظهوره في بلاد المرابطين، ولهذا فان ابن تومرت ولكي يضمن لدعوته النجاح والانتشار سلك الخطوات التالية:

– إظهاره للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقمصه لأساليب وشخصيات المصلحين، فقد انتحل ابن تومرت صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ بهذا النهج منذ وقت مبكر وذلك حينما كان بمكة بعد عودته من العراق حيث استغل تجمع المسلمين فيها، فأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ناله شيء من الأذى بسبب ذلك، ومن مكة توجه إلى مصر وفيها استأنف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالغ في ذلك حتى طرده العبيديون منها حيث خرج إلى بلاد المغرب[1].

ويبدو أن ابن تومرت كان يهدف من وراء إظهاره للأمر والنهي عن المنكر إلى تحقيق غرضين: الأول منهما هو لفت أنظار الناس إليه في البلاد التي مر بها حتى يعد من المصلحين، أما الثاني فهو تكوين بعض الخلايا السرية في تلك البلاد من الأفراد الذين يعجبون بمنهجه، وذلك ليكونوا دعاة إلى أفكاره ومبادئه، وقد نجح في ذلك حيث يذكر البيذق أنه كان لابن تومرت بمصر واحد وخمسون رجلاً من أهلها، وكانوا له مثل أعضائه وجسده سامعين لقوله مجيبين لأمره مؤمنين به...)[2].

ولما وصل إلى بلاد المغرب نزل بمدينة المهدية سنة 505هـ وفيها واصل نشاطه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلى الدخول في دعوته، حيث يذكر ابن خلدون أنه لما نزل بطرابلس أظهر ما يدعو إليه صراحة، كما أنكر على علماء المغرب عدم أخذهم بما يدعو إليه وينادي له[3].

---

[1]– ابن خلكان، المصدر السابق، ص 46.

[2]– أبي بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تح عبدالوهاب منصور المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، 2004م، ص 32.

[3] –عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808هـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 1999م، ص ص 466،467.

وفي بلاد المغرب انتقل ابن تومرت من الجانب التنظيري إلى الجانب العملي حيث جد في تكوين قاعدة لدعوته، وكانت وسيلته المعلنة في ذلك هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة حلقات للتدريس ينشر من خلالها أفكاره ليستقطب بعد ذلك من يتقبلها من تلاميذه[1].

ويبدو أن جرأة ابن تومرت في الكلام، وتظاهره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى جانب كونه يتوجه في دعوته إلى التجمعات الشعبية العامة كانت من العوامل القوية لنجاح دعوته في هذه المرحلة[2].

حيث يذكر تلميذه البيذق، أنه ما أن حل ببلاد المغرب الأدنى حتى كثر حوله المؤيدون والأنصار، فاختار بعضهم ممن يتوسم فيهم القبول المطلق لدعوته ومخايل الذكاء والنجابة، وتوجه بهم إلى بلاد المغرب الأقصى[3].

وقد نهج ابن تومرت عدد من السبل حتى يظهر دعوته للناس، ويجمع حوله المؤيدين والأنصار ومن هذه السبل ما يلي:

-أنه تدرج في إظهار دعوته، كما ألبسها الصبغة الإصلاحية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-أنه خاطب بها الجهال والسذج من الناس الذين لا يدركون حقيقة ما فيها من انحراف عن الخط الإسلامي الصحيح، حيث توجه بها إلى قوم صيام عن جميع العلوم كما يقول المراكشي[4].

---

[1]- البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، ص 51

[2]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 179،180

[3]-البيذق، المصدر السابق، ص 11.

[4]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 255.

-أنه كان يبالغ في إنكار المنكر على الحكام الذي يمر بديارهم كما فعل مع العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد صاحب بجاية[1].

وقد قامت دعوة ابن تومرت على أسس فكرية أهمها :

أ – ادعائه النسب القرشي، وأنه من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أقر بعض المؤرخين هذا الادعاء[2]، لكن طائفة أخرى أنكرت هذا الإدعاء وقالت أن ابن تومرت دعي فيه فهو من هرغة كما يرى حسن محمود هذا الرأي حيث ذكر أن ادعاء ابن تومرت للنسب العربي ما هو إلا وسيلة لكسب الأنصار لدعوته الناشئة[3].

والمتتبع لتاريخ ابن تومرت يدرك أنه لم يظهر ادعاءه النسب القرشي دفعة واحدة بل إنه تدرج في هذا الأمر، حتى يضمن قبل الناس له، فبعد أن اطمأن إلى قبول دعوته، وإلى تمكنه من أتباعه أخذ يشوقهم إلى المهدي ونسبه، ثم لما قبلوا هذا الأمر، ادعى ذلك الأمر لنفسه حيث قال لهم: (أنا محمد بن عبد الله...) ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم[4].

ب- ادعائه العصمة حيث قال عن نفسه: بأنه هو المهدي المعصوم، ثم أشاع ذلك بين أتباعه حتى أصبحوا يطلقون عليه لفظ العصمة دون حرج أو تردد[5]، وقد أكد هذا الأمر في مؤلفاته التي

---

[1]-أبو الحسن علي بن محمد ابن القطان الفاسي(ت ق 7هـ)، **نظم الجمان في أخبار الزمان**، تح محمد مكي، جامعة محمد الخامس، (د، ط)، الرباط، 1964م، ص 22.

[2]-البيذق، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح عبد الوهاب بن منصور، دار منصور للطباعة والوراقة، (د،ط) الرياض، 1971م، ص 12.

[3]-حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي،(د،ط)، القاهرة،(د، ت)، ص 177.

[4]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 255.

[5]-أنظر في تفصيلات ذلك: البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت** و ابن القطان،المصدر السابق، حيث وردت كلمة المعصوم عشرات المرات ، كما ورد فصل بعنوان: عصمته رضي الله عنه.

انتشرت بينهم إذ جاء فيها: ويجب أن يكون الإمام معصوماً من الباطل ليهدم الباطل، كما يجب أن يكون معصوماً من الضلال...)[1].

ج- إدعائه للمهدية أي أنه هو المهدي الذي وعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بخروجه في آخر الزمان حيث قال في خطبته حين مبايعته إماما للموحدين سنة 515هـ: "الحمد لله الفعال لما يريد القاضي بما يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جورا يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى، واسمه اسم النبي ونسبه نسب النبي"[2].

د- أن ابن تومرت تأثر بكثير من المذاهب والفرق الإسلامية، حيث أخذ منها ما يلائم اتجاهاته، ويخدم أهدافه، ولهذا جاء تراثه الفكري خليطاً مضطرباً متأثراً بكثير من النزعات الفكرية فهو في مسألة الإمامة يقول برأي الرافضة حيث ضمن كتابه أعز ما يطلب هذا الرأي حين حديثه عنها حيث قال: "لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب الإمامة في كل زمان إلى أن تقوم الساعة ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق"[3].

كذلك تأثر ابن تومرت بمذهب المعتزلة حيث قال ببعض آرائهم كقوله: إن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق، كما سمى مرتكب الكبيرة بالفاسق ولم يسمه بالمؤمن أو الكافر، وهذا قريب من مذهب المعتزلة[4].

كما نهج ابن تومرت نهج الأشاعرة في تأويل بعض صفات الله – سبحانه وتعالى – حيث يذكر ابن خلدون أن ابن تومرت هو الذي حمل أهل المغرب على القول بالتأويل والأخذ بالمذهب

---

[1]-ابن تومرت، المصدر السابق، ص 22.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، ص 75.

[3]- ابن تومرت، المصدر السابق، ص 23.

[4]- عبد الحميد النجار، المرجع السابق، ص 362.

الأشعري في كافة العقائد[1]، كما ذكر المراكشي أن ابن تومرت ضمن تصانيفه مذهب الأشاعرة في كثير من المسائل، حيث كان جُل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية[2].

كما تأثر بكثير من آراء الخوارج لا سيما في التساهل بسفك الدماء، ومقاومة السلطان الجائر حتى جعله ضرباً من الجهاد في سبيل الله[3].

وبهذا العرض يتبين لنا أن دعوة ابن تومرت قد تأثرت بآراء كثير من الفرق والمذاهب الإسلامة، فهي ليست أشعرية بحتة، وليست معتزلية تقوم على الأدلة العقلية وحدها، وليست خارجية كما ظنها علماء المرابطين، وهي أيضاً ليست رافضية في كل اتجاهاتها، بل هي مزيج مضطرب من أغلب الفرق والمذاهب الإسلامية، ولهذا فإنه يبدو من المقبول أن يطلق عليها العقيدة التومرتية، وذلك لتميزها عن كل المذاهب السابقة بمنهج مستقل[4].

ومما لا شك فيه أن هذا التأثر العقدي والفكري الذي انتاب دعوة ابن تومرت كان له أثره بعد ذلك على بلاد المغرب.

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 466.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 271.

[3]- نفسه، ص 260.

[4]- عبد الله علام، **الدولة الموحدية بالمغرب**، دار المعرفة، ط1،القاهرة، 1962م، ص 66.

3-إسهامات خلفاء الموحدين في الحياة العلمية :

بعد أن اشتد ساعد الدولة الموحدية بامتلاكها زمام الأمور كان لابد لها أن تهتم بالحركة العلمية والأدبية، فعرفت اهتماما واسعا بالعلوم والآداب، كما غلبت عليها الصبغة الدينية لأن مؤسسها فقيه ورجل دين قضى خمسة عشر عاما في التزود بمعارف المشارقة فعاد بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين[1].

وبذلك شهد المغرب الإسلامي أزهى عصوره الحضارية خلال العهد الموحدي حيث نشط فيها الفكر بصفة عامة، وتهيأت الظروف لازدهار التعليم والتأليف، سهر عليه علماء من المغرب الإسلامي، نظرا للانصهار والتمازج السياسي والثقافي والاجتماعي.

فالازدهار العلمي الذي شهده المغرب الإسلامي لم يولد من فراغ، بل هو ثمرة لبذرة غرست قبل هذا العهد، إذ من المعروف أن الحركة العلمية ما هي إلا سلسلة متعددة الحلقات، كل حلقة تعتمد على الحلقة السابقة وتؤسس للتي تليها، فازدهار الحياة العلمية في تلك الفترة يظهر الجهود الجبارة التي قامت بها الدولة من أجل إزدهار الحركة العلمية وتنشيطها، ويتجلى ذلك في جلب الخلفاء الموحدون للعلماء على اختلاف طوائفهم ومعارفهم[2].

وبذلك شجع الموحدون الحركة الفكرية-في جميع مظاهرها باستثناء الفلسفة، بسبب السيطرة الشديدة التي كان يبسطها الفقهاء حتى في الميدان الفكري بل الميدان الروحي والشرعي[3]-تشجيعا ماديا وأدبيا، فأسسوا المدارس وعمروا المعاهد،وجلبوا كبار العلماء واقترحوا التدوين وعقدوا المناظرات وسبقوا إلى التعليم الإجباري وابتكروا التعليم المجاني، ووضعوا مناهج التعليم[4]، وكذلك أحييوا سنة اهتمام عظماء المسلمين بالترجمة فأمروا بترجمة كثير من الكتب المهمة[5].

وبهذا تميز هذا العصر بوفرة دراسة علوم الدين والفقه والأدب والعلوم العقلية، وأنتج علماء فقهاء امتازوا بالجمع بين العلوم الشرعية كالفقه والأصول والحديث والتفسير، والعلوم الأدبية وعلوم

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 302.

[2]- عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس(عصري الموحدين والمرابطين في المغرب والأندلس)**، مكتبة الخانجي، ط 2 القاهرة،(د،ت)، ص 320.

[3]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (د،ط)، المغرب، 2000م، ص 349.

[4]- محمد المنوني، **العلوم والأداب والفنون على عهد الموحدين**، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط 2، الرباط 1988م، ص 15.

[5]- نفسه، ص 16.

اللغة والعلوم العقلية مما أسهم في بروز التيار العقلاني في الحركة العلمية ويتجلى ذلك في اعتناء ابن تومرت بإحلال التوحيد الكلامي القائم على التسليم بظاهر الآيات القرآنية، حيث أخذ يدرس التوحيد الكلامي جهرا بعد أن كان يذيعه بين تلاميذه سرا في بداية ظهوره، فابن تومرت وضع لدولته مذهبا توحيديا كلاميا وليس مذهبا فقهيا، وهاجم علماء المالكية لاعتراضهم على مذهبه[1].

وقد مكن اهتمام الموحدين بشؤون الثقافة من ظهور شخصيات لمعت في سماء الفلك والطب والتاريخ والجغرافيا إلى جانب علوم اللغة والأدب وعلوم الشريعة[2]، وكان يحضر في مجالس الخلفاء والأمراء علماء كثيرون من بينهم أبو بكر بن الجد وعبد الواحد المراكشي وأبو بكر بن زهر وابن رشد الحفيد وأبو بكر بن طفيل وأبو الوليد الشقندي، بل إن الخلفاء كانو يطلبون العلماء في منازلهم فقد كان أبو يعقوب يقيم عند ابن طفيل عدة أيام بلياليها[3].

وكذلك ما فعله المنصور حيث جعل الناس يقللون من الإكباب على النظر في علم الفروع المجرد، وينصرفون على دراسة الفقه بأصلييه الكتاب والسنة، فظهر الانشغال بعلم التفسير وعكف الناس على تفهم كلام الله عز وجل ودراسته دراسة علمية صحيحة، ونبغ مفسرون أمثال عبد الجليل القصري، كما انتشر علم الحديث رواية ودراية وأقبل الناس على الأخذ عن رجاله والتأليف في فنونه المختلفة وكان أبو الخطاب وابن القطان الفاسي ومحمد بن قاسم التميمي من ألمع محدثي هذا العصر[4]، وبذلك غدت مراكش مرجع للطلاب والعلماء.

ويمكن أن نلخص مظاهر الاهتمام بالعلم والعلماء في الدولة الموحدية في خمس مناحي:

-قيام الدولة أساسا على العلم.

-جلب العلماء وإغداق العطايا عليهم.

-الاهتمام بطلبة العلم والمبالغة في إكرامهم.

-اقتناء الكتب النادرة وتوفيرها للدارسين والباحثين.

---

[1]-عبد الله علام، المرجع السابق، ص ص 307،308.

[2]-إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، دار الرشاد الحديثة،دط، المغرب، 2000م، ص 350.

[3]-نفسه، ص 351.

[4]-عبد كنون، المرجع السابق، ص120.

-الأمر بالاجتهاد ونبذ التقليد[1].

ومن أبرز فروع المعرفة التي برزت في تلك الفترة نذكر:

أ-العلوم النقلية:

القراءات: كان علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية باعتباره أول محاولة في تفسير القرآن الكريم وقد وضع المهدي محمد بن تومرت نظاما يوجب عليهم قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم جمعة عقب صلاة الصبح والمغرب قراءة مرتلة، وكان الأمير يوسف بن عبد المؤمن قد درس القراءة وكان من بين أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم[2]، ومن الذين اشتهروا في تلك الفترة عبد الله الونشريسي[3]، وقد اشتهر بقراءته الحسنة[4].

التفسير: يعد التفسير الخطوة الثانية بعد القراءات في سبيل بيان معاني القرآن الكريم وعلى الرغم من أن الموحدين تبني أوائلهم الفكرية المهدوية الشيعية وتأثر مذهبهم التوحيدي بأراء المعتزلة إلا أن ذلك لم يخرجهم عن الجو السني مطلقا[5].

ومن أشهر المفسرين للقرآن الكريم الحجاج يوسف بن عمران المدغي المرسي بالقرويين أخذ عن أبي ذر الخشني وأبي عبد الله التجيبي وغيرهما ووضع كتاب التفسير بلغ به "تبارك" وله مؤلفات أخرى وأبو العباس أحمد بن فرتوت السلمي(ت 660هـ) الذي وضع تعليقا كمل به كتاب السهيلي "التعريف والإعلام بما أبهم من القرآن العزيز من الأسماء والأعلام" وابن عبد الجليل القصري (ت 606هـ) وضع كتاب الناسخ والمنسوخ"وكتاب " تفسير القرآن "[6].

الحديث : اهتم الموحدون اهتماما بالغا بالحديث، فقد كان عبد المؤمن بن علي من المتبحرين في علم الحديث، وكان ابنه يوسف مجتهدا في طلب الحديث[7].

---

[1]- أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الملك إبن القطان الفاسي، (ت 628هـ)، **بيان الوهم والإيهام**، تح الحسين أيت سعيد مج 1، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض، 1997م، ص 3.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 155.

[3]- عبد الله الونشريسي: فقيه وعالم نحوي من المغرب الأوسط، ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، **سير أعلام النبلاء**، ج 19، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، دط، بيروت، 1992م، ص 443.

[4]- محمد بن محمد بن عبد الواحد بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 9، تح أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 1995م، ص 199.

[5]- عبد الله علام،المرجع السابق، ص 297.

[6]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 1، المرجع السابق، ص 354.

[7]-عبد الله علام، المرجع السابق، ص300.

وقد اهتم عبد المؤمن بالعلم والعلماء من خلال إشرافه على جمع أثار المهدوية و الفقه ليكون في كتاب واحد سماه "أعز مايطلب"[1]، ومن أبرز أعلام الحديث أبو الحسن علي بن محمد الكتامي المعروف بابن القطان[2] وأبو عبد الله المواق الفاسي الذي وضع شرحا للموطأ وأبو الخطاب بن دحية الكلبي[3].

علم الكلام: كان المغرب الإسلامي قبل دعوة ابن تومرت يسير على مذهب السلف الصالح ويمقت علم الكلام[4]، الذي تصدى لتأويل المتشابه من القرآن الكريم، ومن العلماء الذين اهتموا بعلم الكلام ابن طفيل وابن رشد وقد أولى المنصور عناية بالفلسفة، لكن سرعان ما تحولت الى اضطهاد وتحريف لكتبها[5].

الفقه: بعد وفاة ابن تومرت سنة 524هـ أصدر عبد المؤمن بن علي أمر بإحراق كتب الفقه التي بها خلافات الفقهاء،- ورد الناس الى كتب الحديث وفي مقدمتها موطأ مالك لاستنباط الأحكام الفقهية منها[6]، ومن فقهاء هذا العصر أبو الحسن الرجراجي الذي ألف "مناهج التحصيل فيم للأئمة المدونة من التأويل"، وأبو محمد عبد الله بن عيسى التادلي الذي قيل أنه أملى المدونة من حفظه بعد إحراقها وفقدانها[7].

علوم اللغة العربية: اعتنى الموحدون بالعلوم اللسانية خاصة ابن تومرت الذي اهتم باللغة العربية لكونه درسها بالمشرق[8]، وانتشرت اللغة العربية بدولة الموحدين باعتبارها لغة اللاد الرسمية في المكاتبات والمعاملات وشؤون الدولة وكان لمجيء العلماء للمدن دور كبير في انتشار اللغة العربية وازدهارها، كما كان لقدوم القبائل العربية الهلالية من المشرق أثر كبير في دعم اللغة العربية وانتشارها لتمسك هذه

---

[1]- ابن تومرت، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 3.

[2]- سيأتي التفصيل في ذلك في المبحث الثاني.

[3]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 1، المرجع السابق، ص 353.

[4]- علم الكلام: هو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد، ينظر: ابن خلدون، **المقدمة**، دار القلم، ط 5، بيروت 1984م، ص 458.

[5]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 1، المرجع السابق، ص 362.

[6]- عبد الله علام، المرجع السابق، ص 308.

[7]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج 3، ص 362.

[8]-عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص 100.

القبائل البدوية باللسان العربي[1]، ومن أبرز شخصيات العصر الموحدي في علوم اللغة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي وأبو موسى الجزولي عيسى بن عبد العزيز من مراكش الذي توفي بها سنة 610هـ[2].

ب-**العلوم العقلية:**

التاريخ: اهتم الموحدون بالتاريخ، بعضهم اهتم بشأنها كما فعل البيذق[3]، وابن القطان وابن صاحب الصلاة وعبد الواحد المراكشي، والبعض الآخر هم الذين عاشوا في ظل الموحدين وامتدت حياتهم إلى فترة الدول التي جاءت بعدهم مثل بن عذاري (كان حيا سنة 712هـ/1312م) وابن أبي زرع الفاسي(ت 722هـ/1325م).

الفلك والنجوم : كان ابن تومرت من أئمة علم التنجيم المعدودين في عصره فقد اختار تلميذه عبد المؤمن بن علي ليكون خليفته، عرفه بالعلامات التي كانت عنده وكان ابن تومرت هذا أوجه عصره في علم خط الرمل[4].

اشتغل الخليفة يعقوب المنصور بالتنجيم ووضع أبراجا فلكية عن كسوف الشمس وأمر بإقامة برج عالي بجامع اشبيلية الأعظم[5] للأذان ولرصد النجوم أيضا فكان أول مرصد أقيم في أوربا[6].

الطب والصيدلة : بدأت النهضة الطبية في عهد عبد المؤمن بفضل بطبيبه الخاص أبي بكر بن زهر الذي يعتبر أعظم أطباء العصور الوسطى ومن أشهر كتب الطب كتاب "القانون" لابن سينا وكتابه الآخر " الرجز الطبي"[7].

كما اهت المنصور بالطب فكان يعتني بصحة الرعية إعتناءه بصحته ،فبنى بمدينة مراكش "بيمارستان"، كان أمينه وطبيبه أبو إسحاق إبراهيم الداني من بجاية[8].

---

[1]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 274.

[2]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 1، المرجع السابق، 366.

[3]- نفسه، ص 356.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 116.

[5]-أنظر الملحق رقم ص

[6]- عبد الله علام، المصدر السابق، ص355.

[7]- محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د،ت)، ص 166.

[8]- نفسه، ص 171.

وصفوة القول هو أن الحركة الفكرية في عهد الدولة الموحدية نشطت نشاطا منقطع النظير في مختلف الميادين الفقهية والعلمية والأدبية والفنية.

المبحث الثاني: ترجمة لمؤرخي البلاط الموحدي

أولا: أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت 580هـ/1184).

ثانيا: أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة (ت تقريبا 590هـ/1198م).

ثالثا: أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي (ت 647هـ/1249م).

رابعا: أبو محمد حسن ابن علي بن محمد الكتامي المعروف بابن القطان (ت تقريبا 670هـ/1271م).

إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها ذلك أنه لا يقوم إلا على الأثار التي أنتجتها عقول السلف أو أيديهم[1]، وقد ضاع جزء مهم من أصول تاريخ الدولة الموحدية رغم كثرة مؤرخيها وهو ما يستدعي من الباحث نصب عينيه مدى قيمة هذه المصنفات من الناحية التاريخية، ومدى مساهمتها أيضا في تدوين تاريخ المغرب الإسلامي[2].

ومن هنا كان لزاما علينا رصد الوضعية التي كان عليها أولئك المؤرخون، ومدى الحرية التي تمتعوا بها ليدونوا الحوادث كما شاهدوها أو سمعوا عنها، أم أن السلطة كانت تشعرهم بأنهم تحت الرقابة.

إن وضعية مؤرخي الموحدين المعاصرين للوقائع أو القريبين منها لم يبقوا دائما على مستوى ثابت من الموضوعية والتجرد عن الأهواء والولاءات ولذلك يمكن أن نميز بين صنفين متعارضين من مؤرخي الدولة الموحدية الذين وصلتنا مصنفاتهم، فالصنف الأول تمثل في مؤرخي البلاط الذين عرفوا بمصانعة الموحدين والتشيع لهم، كأبو بكر الصنهاجي (ت 580هـ/1184م)، وابن صاحب الصلاة (ت 594هـ/ 1198م)، وعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م)، وابن القطان (ت حوالي سنة 670هـ/1271م).

أما الصنف الثاني فيتمثل في أولئك الذين عاشوا في ظل الموحدين وامتدت حياتهم إلى فترة الدول التي جاءت بعدها مثل ابن عذاري (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، وابن أبي زرع الفاسي (ت 726هـ/1325م).

وقد جاءت دراستنا لتعنى بالصنف الأول، وفي معنى المؤرخ الرسمي أو البلاطي قيل أنه موظف حكومي تدر له الأوامر وترك آخر، وعكسه من يعنى بالتاريخ لمجرد الرغبة الشخصية، فيصنف فيما يحلو من الحوادث والفترات التاريخية دون أن يلتمس منه الحاكم معالجة أمر معين، مما يضمن له حرية الرأي والنزاهة في معالجة الأحداث[3]، لذا فإنه من أهم الإنتقادات التي وجهت إلى مؤرخي البلاط الموحدي أنهم لا يهتمون في كتاباتهم التاريخية إلا بالسلطة الحاكمة فحسب، ويهملون ما عاداها، وقد أحصى ابن خلدون(ت 808هـ/1406م) هذا الاهتمام ضمن أغلاط المؤرخين في تدوين تاريخ الدول[4]. ومن أهم مؤرخي البلاط الموحدي:

---

[1]- أسد رستم، **مصطلح التاريخ**، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 2002م، ص 14.

[2]- محمد زنبير، **المغرب في العصر الوسيط**، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، المغرب، 1999م، ص 95.

[3]- حسين نصار، **نشأة التدوين التاريخ عند العرب**، مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، (د، ت)، ص 75.

[4]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص 51.

أ- أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق(ت 580هـ/1184م):

سيرة البيذق ومجريات حياته قبل لقائه بابن تومرت مجهولة فلا كتب التراجم أشارت اليه ولا أديب أو مؤرخ أو مترجم اهتم بذكره ،فكان الاعتماد في إلقاء بعض الأضواء الخافتة على حياته على إشارات عابرة متناثرة.

وهو أبو بكر بن علي الصنهاجي ،الملقب بالبيذق وقد ذكر هو إسمه ولقبه كثيرا في ثنايا كتابه" أخبار المهدي بن تومرت "[1].

ولا نعرف شيئا عن تاريخ مولده ومكانه ، ولا عن طفولته وأسرته لكن يرجح أنه ولد حوالي سنة 490هـ/1096م بموطن قبيلة صنهاجة[2]، بالمغرب الأوسط و على اعتبار أيضا أن البيذق كان يقرب من سن عبد المؤمن بن علي زميله في مرافقة بن تومرت[3].

وأما عن تكنيته بالبيذق فقد كرر صاحبها ذكرها مرارا كلما أشار إلى اسمه[4]، ولعلى ذلك راجع الى شيوعها بين الناس و شهرته بها.

وقد ذهب ليفي بروفنسال إلى أن هذا اللقب مأخوذ من الكلمة الفارسية" بيذق الشطرنج "و بالتالي فهو يدل على الجندي في لعبة الشطرنج والتي لازال أهل منطقة السوس الأقصى يستعملونها بهذا المعنى بل إن هذه الكلمة تستعمل في المغرب وصفا للرجل القصير القامة تشبيها له بقطعة الشطرنج التي تحمل هذا الاسم[5].

ولكن إطلاق الكلمة بهذا المعنى فيه قدح وتنابز بالألقاب يستبعد أن يكون ابن تومرت سيقبل بإطلاقه على أبي بكر الصنهاجي الذي خدمه ولازمه مدة طويلة ولذا يبدو أن كلمة" البيذق " تعني إضافة إلى ماسبق الدليل في السفر والماشي راجلا[6]، وهذا هو الراجح على ما يبدو.

---

[1]- البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، المصدر السابق، ص ص 34،52 ،69.

[2]- **قبيلة صنهاجة:** صنهاجة أو بنو صنهاج شعب كبير من البربر البرانس ، من صنهاج ابن برنس أي البربر البرانس وأصل الكلمة صناك، ثم عربها العرب بزيادة الهاء بين النون والألف فصار صنهاج، ثم ألحقوا بأخره فجاء الجمع فصارت صنهاجة، وأطلقوا على جميع القبائل المتناسلة منها، والتي لاتكاد تحصر لكثرتها، منهم لمتونة وكدالة ومسوفة ومصراتة وغيرهم ولا يكاد يخلوا منها مكان ببلاد المغرب فهناك صنهاجة الشرق أهل المغربين الأدنى والأوسط، وصنهاجة الشمال وصنهاجة القبلة أي الجنوب، ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج 6، ص ص 90-99.

[3]- البيذق، المصدر السابق،مقدمة المحقق، ص 8.

[4]- نفسه، ص ص 34،52،69،70.

[5]- نفسه، ص 5.

[6]- البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ص 7، 8.

فقد صحب البيذق ابن تومرت منذ فترة مبكرة من حياته سافر معه صغيرا من المشرق يخدمه ثم عاد معه وربما لم يلقه الا في طريق رجوعه[1]، لقد دخل البيذق مع ابن تومرت تونس سنة 510هـ/1116م قافلا من المشرق حيث كان واحدا من الرجال الثلاثة الذين كانوا معه والثاني يدعى الحاج يوسف، الدكالي، والأخر الحاج عبد الرحمن فلازمه البيذق معهما متجها مع الركب الى المغرب الأقصى[2].

لقد اختص ابن تومرت نفسه بمجموعة تقوم على خدمتة خلال رحلته الى المشرق ووجوده بمصر و الشام[3] ويبدو أن البيذق كان صغير السن وقتها، إذ كان ابن تومرت مع أترابه قائلا" أين الصبيان "فيرد البيذق معهم" ها نحن حاضرون"[4]، وكان ابن تومرت يكلفه بجمعهم و مناداتهم عندما يحين موعد وردهم اليومي[5] فكان على مايبدو يتمتع بعناية ابن تومرت وتقريبه له فضلا عن صفات توافر عليها .

ولذا أنيط به لصغر سنه، وحرصه الشديد على خدمة شيخه ابن تومرت فضلا عن تقبله للأوامر، والمبادرة إلى تنفيذها أنيط به القيام بتأدية بعض الخدمات الخفيفة منها سهره الليالي على راحة شيخه واستعداده لتنفيذ ما يريد، كحمل الكتب إليه وإضاءة سراج شيخه ، والإمساك به عند قراءته للكتب و رعاية دابة شيخه و حمل أمتعته إليها عند السير، و الأخذ بلجامها عند امتطاء شيخه لظهرها ، ثم قيادتها في المسير، وخصوصا بعد أن جرح ابن تومرت في إحدى المعارك [6].

ولقد كان البيذق إلى جانب ما يقدمه من خدمات لشيخه عند النزول والإستقرار، كان دليلا في السفر، وماشيا راجلا أمام بغلة ابن تومرت ، الذي أطلق عليه لقب" البيذق "دلالة على هذه المهمة بفضل تمكنه من اللغة البربرية[7]، ولا يستبعد أن تكون الكنية الحقيقية لأبي بكر الصنهاجي هي " أفدد"، والتي تعني بالبربرية " الدليل والرائد" ولكن ابن تومرت عربها ، وأصبحت" بيذق"[8].

---

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص ص 55، 56.

[2]- نفسه، ص ص 41، 70.

[3]- البيذق ، **المقتبس من كتاب الأنساب**، المصدر السابق، ص 29.

[4]- البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، المصدر السابق، ص 52.

[5]- نفسه، ص 42.

[6]- نفسه، ص ص 41، 43، 50، 69، 70.

[7]- علي صدقي أزايكو، **نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية،(د، ط) الرباط، 2004م، ص 91.

[8]- نفسه، ص 92.

والبيذق كان ضمن المجموعة الأولى التي لازمت ابن تومرت[1]، لكنه ظل خارج الجماعة المقربة منه، فلم يكن من الشخصيات البارزة ذات الحظوة، فهو رجل بسيط ضعيف الإدراك[2] حتى أنه لم يشغل أي منصب مهم في حركة ابن تومرت ولم يكن من بين العشرة[3]، ولامن بين الخمسين[4]، أو أهل الدار المناط بهم خدمة ابن تومرت رغم سابق وقدم خدمته لشيخه في حله وترحاله، فارتباطه بالمهدي أشبه بارتباط الخادم بسيده.

ولكن هذا لايعني أن البيذق لم يكن له دور في حركة الموحدين ، سواء في عهد ابن تومرت أو في عهد خليفة عبد المؤمن بن علي إذ ساهم في بث الدعوة الموحدية ، وتثبيت أقدامها في مرحلتها الأولى حتى أنه أكثر من إستعمال ضمائر المتكلمين عند إيراد رواياته التاريخية[5]، مؤكدا على أنه ضمن رجالات الموحدين الأوائل حينذاك ، وشارك البيذق في معظم غزوات ابن تومرت ، فقد حضر معه معركة البحيرة الشهيرة بمراكش سنة 522هـ/1130م التي امتحن فيها الموحدين ، فكان البيذق وعبد المؤمن بن علي من قلائلهم الذين نجوا من الموت[6]، وبعد وفاة ابن تومرت سنة 524هـ/1132م ، كان البيذق ممن بايع عبدالمؤمن بن علي، ولازمه في حروبه ضد المرابطين إلى أن تم له النصر بالاستيلاء على مراكش و القضاء عليهم[7]، ثم لازمه بعد ذلك في حركاته و غزواته بالمغرب الأقصى و الأوسط وقضائه على بعض الثورات أول حكمه[8]، ورغم أن البيذق كان ممن ساهم في تأسيس دولة الموحدين على يد عبد المؤمن بن علي، إلا أنه لم يدخل بلاط الموحدين كمسؤول في هذه الدولة ، و ذلك على ما يبدو لتواضع قدراته ، لاسيما القيادية منها، فلم يحض بسبب ذلك بمكانة كبيرة تمكنه من

---

[1]– هذه المجموعة كانت تتألف من عبد المؤمن بن علي وعبد الواحد، والحاج عبد الرحمن والحاج يوسف الدكالي وعمر بن علي ينظر: البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، المصدر السابق، ص 52.

[2]–روجي لي ترونو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**،تع أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع، ط 2 الدار البيضاء، 1998، ص 18.

[3]–**العشرة**: أهل العشرة أو أهل الجماعة هو مجلس يشتمل على عشرة أشخاص عينهم المهدي من خيرة أصحابه والسابقين منهم بالإنظمام إليه، ينظر: عبد الحميد النجار، المرجع السابق، ص 116.

[4]– **الخمسين**: أهل الخمسين هو مجلس يشتمل عل خمسين شخصا يمثلون مختلف القبائل منهم ستة من هرغة وأربعة عشرة من تينملل، وثلاثة من هنتاتة، واثنان من جنفيسة، وأربعة من صنهاجة وثلاثة من هسكورة وواحد من سائر القبائل وخمسة من الغرباء ويضاف إليهم العشرة المذكورين في المجلس الأول، ينظر: عبد الحميد النجار، المرجع السابق، ص 116.

[5]– البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، المصدر السابق، ص ص 34، 171.

[6]– نفسه، ص 74.

[7]– البيذق، **المهدي بن تومرت**، المصدر السابق، ص 83– 120.

[8]– نفسه، ص 121– 126.

الدخول ضمن تصنيف ابن تومرت لأتباعه ، بل بقيا مهمشا عن تلك المسؤوليات.

ولكن لا يستبعد أن يكون قد دخل سلك" الحفاظ "الذين كان دورهم مقتصرا على بث أصول الدولة الموحدية، و تعليم القرآن و مبادئ الإسلام للناس و متابعة إنصرافهم إلى إستيعاب محتوى القرآن، والرجوع إلى الحديث الشريف، والإمتثال لأصول الشريعة في عباداتهم و معاملاتهم [1].

و يبدو أن البيذق كان حافظا للقرآن الكريم أو على الأقل حافظا للكثير منه [2].

وأنه كانت له الإلمامة بمسائل فقهية تتسم عن إعتنائهم بتكوين ثقافة فقهية[3]، لكنه مثل غالب طلبة العلم بالمغرب في عصره، و لم يكن له باع طويل في اللغة العربية وآدابها، إذ كان بحكم نسبه ونشأته يجيد اللغة البربرية[4]، والتي استعمل الكثير من مفرداتها العامية والمحلية في ثنايا كتاباته[5].

ولقد ظل البيذق على ولائه وخدمته للموحدين حتى وفاته التي رجح كثيرون أنها كانت أواخر عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م)[6]، باعتبار أن حوادث كتاب "أخبار المهدي بن تومرت "المؤكدة بالنسبة إلى البيذق تقف قريبا من وفاة عبد المؤمن سنة 558-هـ/1163م[7]، لكن هذا القول غير مقبول، فقد وردت إشارات صريحة ذكرها البيذق في كتابه هذا تشير إلى أنه أدرك عهد الخليفة يعقوب المنصور الذي بويع بالخلافة سنة 580هـ/1136م وتوفي سنة 595هـ/1198م[8]، ومعنى ذلك أن وفاته تأخرت إلى سنة 580هـ/1186م أو بعد[9].

---

[1]- نفسه، مقدمة المحقق، ص 11.

[2]- البيذق، **المقتبس من كتاب الأنساب**، المصدر السابق، ص ص 9، 10.

[3]- البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، المصدر السابق، ص ص 34، 38، **المقتبس من كتاب الأنساب**، ص ص 9، 10.

[4]- البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، مقدمة المحقق، ص 10.

[5]- نفسه، ص ص 56- 117.

[6]- سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، ج 5، منشأة المعارف، ط 1، الإسكندرية، 2000م، ص 9، البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، مقدمة المحقق، ص 12.

[7]- البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، ص ص 150، 151.

[8]- نفسه، ص ص 151، 152، 170.

[9]- يرجح عبد الحميد حاجيات الذي حقق كتاب أخبار المهدي ابن تومرت أن أخبار الفترة التي تقع بعد سنة 550هـ/1155م في هذا الكتاب، لايمكن اعتبارها من تأليف البيذق للاختلاف الكبير بينهما وبين ما سبقه من نص الكتاب سواء في الأسلوب أو في طريقة التأليف، ينظر: البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، مقدمة المحقق، ص 12.

ومما يدعم ذلك ورود إشارة في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب للبيذق تؤكد أن وفاته قد تأخرت إلى سنة 580هـ/1186م[1].

ومما لاشك فيه أن أهم عمل خدم البيذق فيه الموحدين هو تصنيفه لكتابين في تاريخ دولتهم أصبح مصدرا مهما اعتمد عليه مؤرخو العصر الموحدي أنفسهم.

أولهما كتاب" أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين "والذي عرف به البيذق ليس فقط لأنه شارك بنفسه في وقائعه التي وصفها وأرخها ، ولا لأنه وصف فيه رحلته مع ابن تومرت يرحل برحيله، وينزل بنزوله، وإنما أيضا أسفر عن معتقد كاتبه الذي آمن إيمانا مطلقا بعصمة ابن تومرت، واعتقاده الجازم بصحة خلافة عبد المؤمن بن علي[2]، وثانيهما كتاب" الأنساب في معرفة الأصحاب"[3].

والكتاب الأخير يبرهن على الولاء المطلق الذي التزمه البيذق للدعوة الموحدية وداعيها ابن تومرت[4]، إذ تضمن ترويجا واضحا لدعوته، مع إضفاء حلل القداسة والمهابة عليه عبر حكايات عنه وعن أتباعه المبايعين له[5]، ويبدو أن البيذق دون كتابه" أخبار المهدي بن تومرت " ورفعه إلى الخليفة عبد المؤمن لينال رضاه ويحوز على قربه ولذلك لم يترك فرصة عن الحديث عن غزوة أو حادثة أدى فيها دورا إلا وذكر اسمه حتى لو كان ذلك الحدث أو تلك الغزوة لا تحمل كثير أهمية[6].

وعندما يئس البيذق من أن ينال خطوة ارتجاها عند سادته الموحدين أو حتى ينزل منزلة أشياخهم ، إنزوى عن مصاحبة جيوش الموحدين وتوقف عن إيراد إسمه في أخبارهم كما تعودنا منه ذلك[7].

لقد عاصر البيذق الفترة الأولى من تاريخ الدولة الموحدية ورافق اثنين من صناع تاريخها داعيها ابن تومرت، ومؤسسها عبد المؤمن بن علي فكتب عنهما ومجد أعمالهما، ودافع عن دعوتهم

---

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص 42.

[2]- نفسه، ص ص 38، 42.

[3]- البيذق، **المقتبس من كتاب الأنساب**، ص ص 40- 60.

[4]- نفسه، ص ص 12، 13.

[5]- البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، مقدمة المحقق، ص 6.

[6]- البيذق،أخبار المهدي ابن تومرت، المصدر السابق، ص ص 34، 50.

[7]- نفسه، ص ص 83- 170.

ودولتهم حتى أصبح من أهم مؤرخي تلك الفترة، لكونه أرخ لها من الداخل، كما أنه شاهد عيان لجل ما كتب.

فكان من الطبيعي أن نلحظ تحيز البيذق بشكل واضح، فمعاصرته لفترة عايشها وأرخ لها أفضت به إلى التأثر بانفعالات المجتمع المحيط به علاوة على تأثيره بمن صحبهم من رجالات الموحدين في طور تاريخهم الأول .

2- أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة(ت:تقريبا 590هـ/1198م):

رغم صمت أغلب كتب المعاجم التي تناولت رجال العصر الموحدي عن إيراد أخبار عن مؤرخنا هذا إلا ما كان من ترجمة ابن الأبار(658هـ/1260م)،وابن عبد الملك(ت 703هـ/1303م)له وهاتان الترجمتان لم تتناولا جوانب مهمة في حياة ابن صاحب الصلاة، بل لم تؤرخ لمولده ولا لوفاته، ولكن دراسة ما وصلنا من كتاب " المن بالامامة" الذي عاصره مصنفه أحداثه، ساعد في كشف بعض الجوانب عن علاقته بالخلافة الموحدية وهو الأهم بالنسبة لموضوع بحثنا هذا.

وهو عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي، يكنى أبو مروان، أبو محمد، المعروف بابن صاحب الصلاة[1]، أي الذي يقوم بإمامة الناس في صلواتهم، وابن صاحب الصلاة ينتسب إلى مدينة باجة[2]، أصل أسرته يعود إلى هذه المدينة، انتقل بعد ذلك إلى مدينة أشبيلية واستوطنها، وأصبح ينسب إليها[3]، ثم اشتهر بين معاصريه ومن بعد هم بابن صاحب الصلاة[4]، وفي هذه المدينة الذائعة الصيت بدأ أولى خطواته عن طريق طلب العلم[5].

ولقد بدأت رغبة ابن صاحب الصلاة في الوصول إلى بلاط الموحدين والتنعم بقربهم منذ فترة مبكرة من مقامه أذ ما إن علم أن رجالات الموحدين بالأندلس بقيادة والي إشبيلية الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن أبي حفص(557هـ/1161م)[6]، قد تمكن من دخول قرمونة[1]، فقدم له أزكى التهاني بذلك النصر.

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي ابن الأبار (ت 658هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، ج 3 تح جلال الاسيوطي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2008م، ص 1.

[2]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الخامس(القسم الأول)، ص 32.

[3]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج 2، ص 662.

[4]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ص32.

[5]-روى ابن صاحب الصلاة عن أبي بكر بن هارون وابن مالك، ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر، ص 32.

[6]- عبد الله بن أبي حفص: أبو محمد عبد الله بن أبي حفص، من شيوخ الموحدين ولاه عبد المؤمن بن علي على ولاية سنة اشبيلية 550هـ/1155م واستمر نصب الخليفة عبد المؤمن ولده أبي يعقوب يوسف واليا على اشبيلية، قتل في موقعة مرج الرقاد عام 557هـ/1161م ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 93،130، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،(قسم الموحدين) ص ص 53-55.

وعندما قرر الموحدون سنة 757هـ/1161م اتخاذ قرطبة مقرا لحكمهم بالأندلس، بحيث تصدر عنها الأوامر إلى نواحيها، احتاج الموحدين لمن يقوم بعمارتها، والنهوض بالأشغال والكتابة بدوائر الحكم الجديدة، وكان من ضمنهم ابن صاحب الصلاة، غير أنه اعتذر عن القيام بتلك المهمة وطلب إعفائه دون أن يبدي سببا لهذا ومع ذلك ظل ابن صاحب الصلاة مقيما بقرطبة، ومعدودا في جملة كتابها[2]، ومن هنا كان نعت ابن عبد الملك المراكشي له بأنه كان " أديبا محسنا "[3]، ولما وصل أبو يعقوب أبو سعيد ابنا الخليفة عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1130-1163)قرطبة، كان ابن صاحب الصلاة في عداد وفد الكتاب من أهل اشبيلية الذين خرجوا للقائهم والترحيب بهما[4]، ويبد أن ابن صاحب الصلاة أصبح مقربا من أمراء الموحدين بالأندلس، إذ صحب سنة 560هـ/1164م والي قرطبة أبي سعيد بن عبد المؤمن إلى جبل طارق للقيا أخيه أبي حفص الذي قدم من مراكش[5].

ويصف ابن صاحب الصلاة تلك المرحلة" كنت في جملة الوافدين قاصدا التبرك بالسيد علي، الحضر مع طلبة الحضر الوافدين وأقصد قصد القاصدين[6] " وكان ابن صاحب الصلاة يرتبط بأواصر صداقة مع كاتب أبي حفص بن عبد المؤمن والي تلمسان في ذلك الحين، المدعو أبو الحسن عبد الملك بن عياش(ت568هـ/1172)[7]، الذي كان له منزلة جليلة عند الموحدين[8]، الذي أوصل لسيده شعرا يستلطف فيه ابن صاحب الصلاة أبي حفص بن عبد المؤمن، ويأمل في كرمه، ويرغب في صلته،

---

[1] – قرمونة: مدينة قديمة من أعالي اشبيلية إلى الشرق منها على بعد 32كم، تقع على رأس جبل أعطاها حصانة ومنعة، بها دار صناعة، بنيت بعد هجوم النورمان كمخزن للسلاح، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني الإدريسي، توفي على الأرجح سنة 560هـ/1165م، **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق**، ج 2، مكتبة الثقافة الدينة، القاهرة 1994م، ص 537.

[2] – نفسه، ص ص 138،140.

[3] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الخامس(القسم الأول)، ص 32.

[4] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 139-140.

[5] – نفسه، ص 179،180.

[6] – نفسه، ص 180.

[7] – أبو الحسن بن عياش: أبو الحسن عبد الملك بن عياش فرج الأزدي القرطبي، كان يسمى الزاهد لورعه وفضله، ثم دخل في خدمة الموحدين كاتب لهم، وكان مع تقدمه في الأدب مشاركا في النظم، بارعا في الخط، توفي سنة 568هـ/1172م. ابن الأبار **التكملة لكتاب الصلة**، ج 3، ص 14، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الخامس (القسم الأول)، ص ص 26 30.

[8] – ابن الأبار ، **التكملة لكتاب الصلة**، ج 3، ص 14.

وقد أوضح الكاتب أبو الحسن بن عياش لسيده أبي حفص سبب وفود ابن صاحب الصلاة ومقصوده، فوعده " يعده جميلة وبآمال كفيلة [1]".

ولعل ابن صاحب الصلاة قد أدرك ذلك التحول الذي طرأ على صديقه الكاتب بن عياش والذي في صدر عمره معروفا بالزهد والورع والفضل، لكنه بعد أن استخدمه السلطان كما يقول ابن الأبار " نال دنيا عريضة، وعدل عن طريقته الأولى"[2]، التي وصفها ابن عبد الملك المراكشي بالمثلى[3] دلالة على تأثير السلطان والقرب من مراتعه في تحول الأخلاق لكنها كانت الطريق التي بحث ابن صاحب الصلاة عن اتجاهها ثم حرص على سلوكها.

ويتضح جليا أن ابن صاحب الصلاة لم يكن يقنع بوظيفة كاتب في قرطبة تجعله أسير مكانه وإنما كان يتطلع أبعد من ذلك إلى الوصول إلى أرباب السلطان الأعلى لينال صلته ويكسب عطفه، ويتمتع بما قد ينعمون به عليه، وهو إلى هذا الوقت لم يخرج عن إطار الولاة الموحدين بالاندلس الذين أسهم الكاتب عبد الملك بن عياش في تعريفه عليهم وحصوله على بعض الأعطيات منهم، بعد أن خدم ابن عياش ولاتهم في إشبيلية وتلمسان[4].

ولا ريب أنه قد تيسر لابن صاحب الصلاة بعد ذلك فرصة مرافقة الركب للوصول إلى العدوة للقاء الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن(558-570هـ/1163-1184م)، ولنا أن نتخيل تلك السعادة التي ارتسمت على وجه ابن صاحب الصلاة وقد تمكن من الوصول إلى حاشية أخ الخليفة الموحدي، وقرب تحقيق أمانيه في ملازمة السلاطين، فلطالما كان يترسم كلمات القاضي أبي بكر بن العربي(ت 543هـ/1143م)، بل ويعيد تكرارها مرارا والتي يقول فيها:" نعمة المعرفة التعرف على السلطان والتشرف به عند التغرب من الأوطان، ونعم العون على العلم الرياسة بالأمن والاستيطان"[5].

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 185.

[2]- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج 3، تح جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2008، ص 14.
- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الخامس(القسم الأول)، ص 37.

[4]- نفسه، ص 28.

[5]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 185، 186.

لذا فإنه وبعد إقامته بجبل طارق[1] دامة مدة 15يوما جاز الجميع بما فيهم ابن صاحب الصلاة إلى سبة، ومن ثمة إلى فاس، فمراكش للقاء الخليفة أبي يعقوب يوسف الذي التقاهم خارج مراكش في أجمل صور الترحيب وأكمل معاني الشوق باللقاء[2].

وأقام ابن صاحب الصلاة فترة من الزمن بمراكش، كانت كافية ليتعلم خلالها تعاليم الدعوة الموحدية ومبادئها بحيث يكون بعدها من دعاتها والمدافعين عنها لاسيما ولديه الاستعداد الكافي ليقوم بذلك بما يتوافق مع تطلعاته وأمانيه، وقد التقى ابن صاحب الصلاة بحضرة مراكش واحدا من العلماء البارزين، ممن كانوا على صلة وثيقة بالبلاط الموحدين وهو الفقيه الخطيب أبو الحسن ابن الإشبيلي(ت567هـ/1171م)[3]، والذي كان شيخ طلبة الحضر[4] والمتولي تدريسهم فقه ابن تومرت وممن يتولى الخطابة بين يدي الخليفة أبي يعقوب يوسف عند حضور الوفود بين يديه، وقد سمع عليه ابن صاحب الصلاة"العقيدة المباركة المسماة بالطهارة"[5]وكتاب " أعز ما يطلب" لابن تومرت[6].

لقد تأثر ابن صاحب الصلاة بابن الاشبيلي حتى غدا من طلبة الحضر من مراكش وكان ابن الاشبيلي يرحب به ويخصه بالأسئلة عند تناول تعاليم ابن تومرت، حتى أصبح من المقدمين لدى شيخه[7]، وقد كان لأبن الاشبيلي تأثير كبير في تلميذه ابن صاحب الصلاة، لاسيما وقد لاحظ لهفته إلى التقرب من رجالات البلاط الموحدي وفي الوقت نفسه كان ابن صاحب الصلاة يحاول إقتفاء أثر شيخه هذا، والذي كان له باع طويل في خدمة الموحدين منذ قدم على بلاطهم في مراكش على

---

[1]–أنظر الملحق رقم ص

[2]–ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 182، 187.

[3]–ابن الإشبيلي: أبو الحسن علي ابن محمد بن خليل، وقيل خليد اللخمي، المعروف بابن الاشبيلي، سكن ألمرية، ثم مراكش كان من المهرة بعلم الأصول، له مصنف سماه " المعراج"، توفي بمدينة مراكش سنة 567هـ/1171م، ينظر: ابن عبد الملك المراكشي المصدر السابق، ص 304.

[4]–كان الموحدون يجلبون العلماء من كل فن إلى حضرة مراكش، وخاصة علم النظر وسموهم طلبة الحضر، أما من عني بالعلم من المصامدة فيسمون طلبة الموحدين، ينظر، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 426.

[5]– هي مجموعة أحاديث تتعلق بأحكام الطهارة وردت في كتاب أعز ما يطلب، ينظر: ابن تومرت، المصدر السابق ص ص 100، 139.

[6]–ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 161، 162.

[7]–نفسه، ص 162.

عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1130-1163م)، حاملا كتابه" المعراج" ليعرضه عليه نال بسببها دنيا عريضة وجاها مديدا[1].

وكان ابن صاحب الصلاة خلال إقامته بمراكش مرتبطا بالبلاط الموحدي يلازم السقائف المخصصة للكتاب والأشياخ[2]، وهناك أتيح له أن يشهد وصول البشرى بانتصار الموحدين على ابن مردنيش(ت 567هـ/1171)، في موقعة فحص الجلاب في نفس العام 560هـ/1165م[3]، مدعيا أنه قد تنبأ بهذا بهذا النصر قبل وصول إشاراته بلحضات، بل وقبل أن يتم سرد حكايته التي تصور انتصار الموحدين الأتية تباشيره[4].

وهذا يوقفنا على مقدار ما كان يفعله ابن صاحب الصلاة ليلفت أنظار كبار الموحدين إليه حتى لو حذا به الأمر إلى قصص خيالية ساعده في حيكها وصول معلومات إليه عن النصر وعن قرب وصول وفد البشارة من بعض الكتاب الذين يعرفهم.

وقد رجع ابن صاحب الصلاة إلى بلاد الأندلس من جديد، إذ نجده سنة 564هـ/1169م في مدينة غرناطة رفقة وليها الشيخ أبي عبد الله محمد ابن أبي إبراهيم(ت 569هـ/1173م)، الذي تسلم ولايتها سنة 562هـ/1167م[5]، والذي ارتبط معه ابن صاحب الصلاة بأواصر علاقة وثيقة حتى وصفه بأنه:" من أبناء الجماعة النبهاء الفضلاء الفرسان الأنجاد من أهل الأديان الشيخ الحافظ" وذلك ناتج عن كونه "وفاء لأصحابه في الحضور منهم والغيبة، مع انبساط معهم في طعامه، وإنعامهم عليهم بجمعهم ومحافظة والتزام الطهارة والصلاة"[6].

وقد كان لابن أبي إبراهيم تأثيره الكبير في فكر ابن صاحب الصلاة فبخلاف أن والده كان يحفظ "موطأ ابن تومرت، وعقيدته المسماة المرشدة، فضلا عن مشاركته في الأدب وإهتمامه بمطالعته

---

[1]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص 304.

[2]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 200، 201.

[3]- هذه الموقعة كانت بعد انتصار الموحدين على ابن مردنيش وصهره ابن همشك في وقعة السبكة سنة 557هـ/1061م، إذ عزموا القضاء على ابن مردنيش الذي استبد بحكم بلنسية وبقية بلاد شرقي الأندلس، ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ص ص 200، 209.

[4]- نفسه، ص 200.

[5]- نفسه، ص 230.

[6]- نفسه، ص ص 217، 222.

كتب التاريخ مع همته العلية في اقتناء الكتب وانتساخها حتى عدا بذلك من أصحاب الخزائن العظيمة التي تتضمن كتبا في شتى الفنون[1].

لقد وجد ابن صاحب الصلاة في رفقة هذا الشيخ وصلة دائمة، طالما التزم بولاء دائم للموحدين وسادتهم.

وقد ساق ابن صاحب الصلاة جملة من أخبار ابن أبي إبراهيم في كتابه المن بالمامة مشيرا إلى وفاته سنة 569هـ/1173م ودفنه بأشبيلية، وعاد ابن صاحب الصلاة إلى مراكش 566هـ/1170م لينال حظوة طالما تمناها، إذ وصل ليقدم التهاني بمناسبة شفاء الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف من مرض ألم به طويلا، فانتهز ابن صاحب الصلاة هذا الحدث في جملة المنتهزين[2].

وقد اغتبط ابن صاحب الصلاة كثيرا عندما خصه الخليفة دونما الداخلين عليه" بظهير كريم بإسهام ومواساة أعانتني على الزمان الأمين وأغنتني عن اللثام"[3].

وهذا الاهتمام والأمر الكريم من الخلافة الموحدية جاء إعترافا بخدمات ابن صاحب الصلاة وولائه لها بشكل رسمي، وهو الأمر الذي دفعه ليعترف أن يد الخليفة الموحدي التي وقعت هذا الظهير الكريم: "وسمتني بميسم الأولياء لأمر العزيز المنصور الأعلام".

لقد خرج ابن صاحب الصلاة من هذا الاستقبال السعيد من عند الخليفة أبي يعقوب وهو أشد مما يكون ولاء وإخلاصا إلى حد انه إعتبر هذا اليوم، وما تلاه أسعد أيام حياته وأجملها التي يجب عليه تدوينها، فاندفع يدون كتابا في أيام هذا الخليفة الذي ألبس الدنيا جملا وجدد لأهلها بخلافته آمالا، فكان كتاب " المن بالامامة على المستضعفين[4] معبرا عن مشاعره تجاه من بدل حياته إلى أفاق رحبة آمالا أوسع[5] فكان أن كتب عنه عبارات الود ولاء لأرباب نعمته.

---

[1]-ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 222.

[2]-نفسه، ص ص 223، 224.

[3]-نفسه، ص 341.

[4]-أنظر الملحق رقم ص .

[5]-نفسه، ص 341.

وتقلب ابن صاحب الصلاة في أيام الأفراح في مراكش التي تلت شفاء الخليفة، واصفا أحداثها بكل دقة واهتمام، متبعا حركات وسكنات الخليفة أبي يعقوب إلى حين استعداد للذهاب إلى الأندلس، لجهاد النصارى وتأمين البلاد[1].

وقد صحب ابن صاحب الصلاة الخليفة الموحدي في تحركه من مراكش متجها نحوى الأندلس، وباعتباره قد عزم على تدوين كتاب عن سيده الخليفة، فقد وصف بكل دقة تنقلاته واستقبالاته ومجريات أيامه كل ذلك على صفة ما يقتضيه دوره كمؤرخ بلاطي خالص.

وقد سجل ابن صاحب الصلاة أوامر الخليفة التي قضت بعزل أو تعيين واصفا استقبالاته ووفود المبايعيين له وأحواله، وتشييده المباني الموحدية بأشبيلية مما جرى مع الخليفة في فترة بقائه بالأندلس في تلك الفترة[2]، فكان ابن صاحب الصلاة طوال رفقته مع الخليفة مثال مؤرخ البلاط الملتزم بتدوين الصغيرة قبل الكبيرة.

وظل ابن صاحب الصلاة ملازما للخليفة أبي يعقوب حتى آخر أيامه في حكم الموحدين شهد ما أصاب الخليفة من جراح في الغزوة التي قام بها في غرب الاندلس والتي توفي على إثرها بتلك السنة[3].

وظلت صلة ابن صاحب الصلاة بالبلاط الموحدي قائمة حتى بعد وفاة الخليفة أبي يعقوب يوسف، إذا استمر في خدمة ابنه الخليفة يعقوب المنصور(580-595هـ/1184-1198م)، الذي على ما يبدو قدر له رفقته لوالده وتفانيه في خدمته.

وقد أسعد ابن صاحب الصلاة كثيرا ذلك الاهتمام الذي أبداه المنصور بجامع مدينته إشبيلية مثلما كان الحال في عهد والده، فقد كان صحبة الخليفة الجديد مع ولي عهده أبي عبد الله محمد الناصر(595-610هـ/1198-1213م) وجميع بنيه وأشياخ الموحدين وطلبة الحضر وأهل الوجاهة في إشبيلية ليشهدوا تركيب بعض الإضافات الجديدة على الجامع المذكور.

وهكذا كان ابن صاحب الصلاة في الدائرة نفسها التي تضم كبار رجالات الموحدين في عهد الخليفة الجديد، بل لقد كان لكبر سنه وتفانيه في خدمة البلاط الموحدي والجهاد ضد أعدائه أثر في

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 342، 349.

[2]- نفسه، ص ص 362، 397.

[3]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص ص 164، 165.

إشراكه في الخطبة مع أبي الحكم عبد الرحمن ابن حجاج الإشبيلي(ت 601هـ/1204م)[1]، بجامع إشبيلية في السنة المذكورة[2].

هكذا كانت مسيرة ابن صاحب الصلاة مع حكام الموحدين، لكن بعد سنة 594هـ/1198م، لا نقف على أخبار لابن صاحب الصلاة أو حتى مشاركات له في تاريخ الموحدين بعد أن قضى وقتا من الزمن متنقلا بين الأندلس والمغرب.

ولما انقطعت أخبار ابن صاحب الصلاة بعد هذا التاريخ، فقد اندثر أيضا تاريخ وفاته، إذ أهمله ابن الأبار في ترجمته المقتضبة له[3]، ونفس القول ينطبق على عبد الملك المراكشي، علما أنهما كما سبق ذكره مترجماه الوحيدان.

ولكن من الراجح تبعا لما سرد من أحداث حياة ابن صاحب الصلاة أنه توفي إما سنة 594هـ/1198م، وهو آخر تاريخ كان ابن صاحب الصلاة حيا[4]، أو في أواخر القرن السابع الهجري وهذا ما يراه عبد الهادي التازي محقق كتاب " المن بالامامة"[5]، وقد اعتمدنا على آخر تاريخ ثبت أن ابن صاحب الصلاة كان حيا.

ومع أن ابن صاحب الصلاة كان " أديبا كاتبا محسنا"، إلا أنه إعتنى بالتاريخ وتدوينه، بحيث أشتهر بتصنيفه فيه، وإجادته له[6]، فقد صنف في التاريخ كتاب "تاريخ ثورة المريدين بالأندلس" وكتاب " دولة عبد المؤمن ومن أدرك بحياته ببنيه"[7] وهو الكتاب الذي سماه مصنفه "المن بالامامة ".

---

[1]– أبو الحكم: أبو الحكم عبد الرحمن ابن محمد ابن عمرو أحمد بن حجاج اللخمي الاشبيلي، كان خطيبا بجامع اشبيلية القديم فترة طويلة حتى طلب إعفاءه فأعفي، ولزم داره وانقطع عن الناس لمدة طويلة، كان له اهتمام بالنظم والأدب، توفي سنة 601هـ/1204م، ينظر: ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج 1 ، ص 307.

[2]– ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 228.

[3]– ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج 3، ص 15.

[4]– ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 393، 394.

[5]– نفسه، مقدمة المحقق، ص 19.

[6]– ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص 32.

[7]– ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 35.

3 – أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي : (ت 1249/647 م).

هو عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المكنى بأبي محمد والملقب بمحي الدين[1]، والذي أطلق عليه في فترة حياته المشرق جريا على العادة هناك، أما الكنية فلا يعرف هل هي كنية تشريق أم أن لها مدلولا واقعيا يشير إلى أن له ولدا في الحقيقة قد كني به، مع العلم أنه يذكر في كتابه المعجب أنه قد اتخذ زوجة، ولم يكن له ولدا، ولم يبد حنينا إلى أسرة أضناه الشوق إليها[2].

وإذا كان عبد الواحد المراكشي عربي النسب، ينحدر من قبيلة تميم، إلا أنه كان مراكشي المولد والنشأة، و ذلك في السابع من ربيع الأخر لسنة 58هـ/1180 في مطلع حكم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580–595 هـ / 1184–1198 م)[3].

ويبدو أن عبد الواحد المراكشي كان يحظى بأسرة تقدر العلم وتطلبه إذ أقبل على الدراسة في سن مبكرة من حياته، وقد بدأ ذلك بمسقط رأسه مراكش، ثم غادرها وهو ابن تسعة أعوام إلى مدينة فاس.[4]

وفي حاضرة المغرب فاس حرص المراكشي على أن ينهل من معين القرآن الكريم العذب دونما غيره من العلوم، لذا لم يزل يواصل قراءته، وتجويده، والوقوف على رواياته حتى أتقن ذلك.

ويظهر أن عبد الواحد المراكشي قصد من رحلته إلى فاس أن يدرس على جماعة أشار إلى أنهم "كانوا هنالك مبرزين في علم القرءان والنحو".[5]

وهنا نلاحظ أن المراكشي كان بعناية وتوجيه من والده أو من يرعى شؤونه في تلك السن الصغيرة، بحيث اهتم في البداية بأن يتعلم القرآن، ويتقن العربية، وذلك من أجل تلقي العلوم الأخرى.[1]

---

[1] – محمد رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج 1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، ط1 بيروت، 1993م، ص 334.

[2] – عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، ج1، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2010م ، ص 332.

[3] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 446.

[4] – نفسه، ص 446

[5] – نفسه، ص ص 443، 444 ،446.

ويبقى عبد الواحد المراكشي يتردد بين الحاضرتين مراكش وفاس سعيا للقاء العلماء وطلب العلم .[2]

وفي سنة 595هـ/1199م التقى بالوزير والعالم والأديب والخطيب أبو بكر محمد بن عبد زهر الاشبيلي (ت595هـ/1159م)[3]. فسمع منه وروى عنه [4]، وهو لم يتجاوز أربعة عشر ربيعا في صيف كان ابن زهر وقتها قد أكمل الثمانين من عمره، بالإضافة إلى صلته بأديب أخر، هو يحي أحد أنجال اين طفيل الفيلسوف الأندلسي الشهير، الذي التقاه المراكشي في مدينة مراكش سنة 603هـ/1206م.

وفي هذه الفترة المبكرة من حياة عبد الواحد المراكشي بدأت تتبدد ملامح علاقته بالسلطة الموحدية في مراكش، إذ أن ابن زهر كان وفوده إلى مراكش في تلك السنة رغبة منه في تجديد بيعته للخليفة محمد الناصر بين يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م) وعندما سعى عبد الواحد للقائه، والاتصال به يقول المراكشي : " سألني عن اسمي، وعن نسبي، فتسميت، وانتسبت، وتسمى لي هو رحمه الله، وانتسب من غير استدعاء، تواضعا منه، وشرف نفس، وتهذيب خلق " [5].

ويبدو أن المراكشي وأسرته من المعروفين في مراكش، وأن أسرته لها صلاتها بأقطاب السلطة الموحدية الحاكمة بحيث أتيح له رغم صغر سنه الجلوس مع الوزير ابن زهر وحضور مراسيم تجديد بيعته للخليفة محمد الناصر في مراكش.

وعبر عبد الواحد المراكشي على الأندلس لأول مرة في حياته أول سنة 603هـ/1207م، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة [6].

---

[1]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 172.

[2]- نفسه، ص 446.

[3] - ابن زهر: أبوبكر محمد بن عبد الملك بن زهر الأيادي الاشبيلي الأندلسي المعروف بالحفيد بن زهر، من نوابغ والأدب بالأندلس ومن بين أهله علماء، وحكماء، ورؤساء، ووزراء، ولد باشبيلية ونشأ بها، وتميز في العلوم وأخذ صناعة الطب والأدب، خدم دولتي المرابطين والموحدين توفي سنة 595هـ/1199م، (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3 ص ص، 424-437).

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 142، 145.

[5]- نفسه، ص 312.

[6]- نفسه، ص 446.

وفي عبوره الأول يشير عبد الواحد إلى أنه أدرك بها "جماعة من الفضلاء من أهل كل شأن"[1]، وقد أشار المراكشي إلى أنه لم يجد عند أولئك الفضلاء الذين أدركهم ما يأخذه عنهم، وأنه لم يفد من لقائهم إلا معرفة أسمائهم ومواليدهم ووفياتهم وعلومهم .[2]

ويتحدث المراكشي عن أول اتصال له بالموحدين بالأندلس سنة 605هـ/1208م في مدينة اشبيلية، التي يبدو أنه قصدها أول نزوله الأرض الأندلسية باعتبارها حاضرة، لكن عبد الواحد تمتع بعلاقة مميزة مع أولاد عبد المؤمن بن علي وأولاد أولاده[3].

ومما ساعد المراكشي على تعميق صلاته برجالات السلطة الموحدين توافره على مزايا شخصية أسهمت إلى جانب وفائه مع أصدقائه في جذب الآخرين إليه وتواصلهم الدائم معه.

ولقد تمتع عبد الواحد المراكشي بقدرة فائقة على الخطاب مع أصحاب الرتب العالية هي خاصية تظهر بصورة واضحة في مقدمة كتابه وخاتمته، فضلا أن حديثه عن خلفاء الموحدين وكتابهم ووزرائهم،[4] حتى أنه أكد أن هناك تقاليد يجب إتباعها في مخاطبة السلطان أشار اليها قائلا: "ما يتعاراه خدمة الملوك ومتخيلو الكتاب من الإطراء والتقريظ وما جانس هذه الطرق"[5].

ولقد بدت أخلاق عبد الواحد المراكشي جلية من خلال كتابه المعجب حيث عند تصفحه يتبين لنا على أنه كان يتصف بأخلاق حميدة تجمع بين الاستقامة، والتواضع ورعاية المودة، والاعتراف بالجميل[6].

ويترجح ان المراكشي كان إما من طبقة الكتاب في الدولة الموحدية، أو على الأقل كان صديقا لهم يجالسهم ويخصونه بكثير من الأخبار أو أنه كان مؤدبا لأبناء الخلفاء الموحدين الذين عاصرهم.

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 446.

[2]- نفسه، ص 446.

[3]- نفسه، ، ص 265.

[4] - نفسه، ص ص 350 ،395 .

[5] - نفسه، ص 384.

[6]- نفسه، ص ص 373، 374.

ورغم تلك الصلة القوية بين المراكشي وأمير اشبيلية إبراهيم ابن أبي يوسف، فقد غادر عبد الواحد المدينة متجها إلى قرطبة سنة 606هـ/1209، حيث لازم بها عالما جليلا وأديبا لامعا، هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحي الحميري(610هـ/1213م)، والذي اتضح تأثيره على المراكشي من خلال ملازمته له مدة سنتين معتبرا إياه من شيوخه وأساتذته وأنه "آخر من انتهى إليه علم الأدب بالأندلس"[1].

وبلغ من عظيم ولاء عبد الواحد المراكشي للموحدين واهتمامه بتقديم الطاعة لهم أن غادر الأندلس عائدا إلى مراكش سنة 610هـ/1213م ليحضر حفل مبايعة خامس خلفاء الموحدين يوسف المستنصر بن محمد الناصر(610-620هـ/1213-1223م)، والذي وثق في عبد الواحد كثيرا إلى درجة أنه ينفرد به، ويخلو معه ليسأله بعض دقائق الأمور التي يعتقد أن جوابها لدى عبد الواحد دون غيره[2].

وظل عبد الواحد يتقلب في رعاية سيده حتى عام 611هـ/1214م، حيث غادر من مراكش متجها إلى الأندلس من جديد، مبتغيا لقاء صديقه الذي طالما عبر عن شوقه إليه أمير اشبيلية إبراهيم ابن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، حيث كان بأرض الأندلس سنة 612هـ/1215م[3].

واتصل المراكشي خلال فترة وجوده بالأندلس بأمير موحدي من أسرة عبد المؤمن هو أبو زكرياء يحي بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن والذي ارتبط معه المراكشي بصداقة وثيقة مثل أخاه وكان يجالسه كثيرا إلى حد أنه تلقى أكثر أخبار الموحدين عنه[4].

وكان هذا اللقاء الأخير بينهما إذ ودع المراكشي صديقه الأمير في آخر يوم من ذي الحجة سنة 613هـ/1216م، عائدا إلى المغرب مرة أخرى، وبعد إقامة لم تطل بالمغرب، ودع خلالها عبد الواحد المراكشي أحباه وأصدقاءه ورجع إلى الأندلس بعد أن عرج قليلا عن مدينة تونس، وتغييب تنقلات عبد الواحد المراكشي عن الرصد قرابة ثلاث سنوات، نجده يشير بعدها إلى وجوده بالديار

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 379، 380.

[2]- نفسه، 388.

[3]- نفسه، ص ص 410، 412.

[4]- نفسه، ص 317.

المصرية 617هـ/1220م، حيث بلغه نبأ وفاة صديقه الحميم أمير اشبيلية إبراهيم ابن أبي يعقوب يوسف[1]، كما أشار المراكشي إلى وجوده بها سنة 619هـ/1222م[2].

لقد ظل عبد الواحد المراكشي يتبع أخبار صديقه، بل وربما يتبادل معه الرسائل، وقد غادر مصر قاصدا أرض الحجاز لأداء فريضة حجه عام 620هـ/1223م، وبعد انقضاء الحج ولقيا من التقاه من الحجاج والعلماء، ثم غادر الحجاز إلى العراق حيث كان موجود ببغداد 621هـ/1224م[3].

ولا شك أن عبد الواحد المراكشي خلال تواجده بالمشرق كان حريصا على لقاء أهل العلم والأدب، يأخذ عنهم، ويدونون عنه، وبعد التاريخ الأخير نفقد أي أثر للمراكشي، فلا يعلم هل غادر إلى المغرب أم وافته المنية في رحلته إلى المشرق، وبالتالي لا نعرف له تاريخا للوفاة[4]، فالمعلومات المعروفة عنه مردها كتابه هذا ولم يزودنا أي مؤرخ أو مترجم بأي أخبار عنه.

وقد اعتنى المراكشي بوصف علاقته الوثيقة مع رجالات الدولة الموحدية من خلفاء وأمراء فضلا عن علاقات الصداقة التي ربطته مع أسر رفيعة في الدولة الموحدية بعضها يلي البيت الموحدي الحاكم في المنزلة والأهمية ومن ذلك إشارته إلى أسرة أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، جد ملوك الحفصيين بإفريقية قائلا: "لم يبق في وقتنا هذا من ولده لصلبه سوى رجل اسمه عثمان فارقته بمرسية وبها ودعدته حيث ارتحلت إلى هذه البلاد...وهو معدود عندي من جملة إخواني"[5].

ولم يفصح عبد الواحد المراكشي عن سبب مفارقته لوطنه وأصدقائه، في وقت كان ينعم بقرب ورعاية صديقه أمير اشبيلية.

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 388.

[2]- نفسه، ص ص 406، 410.

[3]- نفسه، ص 319.

[4]- هناك إختلاف في سنة وفاته فبين قائل أنها كانت سنة 626هـ/1237م، ينظر:ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى دار الفكر، ط 1، بيروت، 1997م، ص 109، وبين قائل أنها كانت 637هـ/1239م، ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 ص 334.

[5]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 421.

وأغلب الظن أن قصد الحج لم يكن داعي لذلك، وإلا لأعلنه عبد الواحد باعتباره فضيلة يتبارى الجميع لإعلانها، خصوصا أنه غادر في آخر يوم من شهر ذي الحجة سنة 613هـ/1216 م[1] وتأخر في أداء الحج من سنة 614هـ/1217م–وهي السنة التي ارتحل فيها من المغرب– إلى سنة 620هـ/1223م وهي السنة التي حج فيها[2]، وأن رحلته المشرقية لم تكن أيضا لطلب العلم، وإلا لوصلتنا بعض مروياته[3].

فإذا كانت هجرة عبد الواحد لوطنه ومحبيه كانت لغير الحج ولغير تحصيل العلم أيضا، ففيم كانت تلك الهجرة ؟

إن قراءة الوضع السياسي للدولة في تلك الحقبة من حياة المراكشي تكشف على أن سبب تلك الهجرة كان سياسيا محضا وأنه لم تكن له القدرة على التصدي للأوضاع السائدة.

لقد كانت هزيمة الموحدين في معركة العقاب 609هـ/1212م في عهد الناصر الموحدي (595–610هـ/1198–1213م) سببا في ضعف السلطة الموحدية بمراكش بالإضافة إلى ظهور حركات التمرد واضطرابات بالمغرب الأقصى، ولم تكن الأندلس بمنأى عن ذلك الوضع إذ ظهرت النزاعات بين الأمراء و الولاة من بني عبد المؤمن ومنافسيهم، من بعض الزعماء المحليين من البربر، ورؤساء القبائل، أو قادة الجند[4].

ولا شك أن عبد الواحد المراكشي الذي يتضح مما سرد سابقا عن حياته أنه كان من أسرة لها شأن في مراكش، قد تأثر بما لحق بالموحدين من ذل الهزيمة، وتبعات ما تلاها، خصوصا وأن له بعض التداخلات في الشؤون السياسية للموحدين واهتمام بذلك منذ أن كان في الرابع عشر من عمره[5].

---

[1]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 388.

[2]– نفسه، ص 319.

[3]– نفسه، مقدمة المحقق، ص 12.

[4]– أحمد عزّاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8هـ، دراسة لرسائله، مطبعة الرباط، دط، المغرب، 2010م، ص 38.

[5]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 145.

وبعد هذا العرض يبدو لنا أن عبد الواحد المراكشي قد تأثر بالوضع الذي كانت تعيشه الدولة الدولة الموحدية بعد معركة العقاب وقبلها والذي عبر عنه المراكشي باختلاف قلوب الموحدين[1] وباختلاف دولتهم برأيه منذ سنة 580هـ/1184[2].

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 402.

[2]- نفسه، ص 342.

أبو محمد حسن ابن علي بن محمد الكتامي المعروف بابن القطان (توفي تقريبا سنة 670هـ/1271م):

لا توجد ترجمة خاصة لابن القطان في المصادر، ولذا من المفيد إلقاء الأضواء على الظروف التي نشأ بها وطلبه للعلم في أول حياته وعلاقته بالموحدين من خلال تعمق في سيرة والده وعلاقته بخلفاء الدولة الموحدية.

ووالده هو علي ابن محمد بن عبد الملك بن يحي بن محمد الحميري، الكتامي، المغربي المالكي المذهبي[1]، يعرف بابن القطان ويكنى بأبي الحسن[2].

والاختلاف حول أصل ابن القطان الأب ، وموطنه واضح وجلي فالمغاربة وعلى رأسهم ابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ/1303م) يوردونه مغربيا، وهناك من يقول بأنه فاسي سكن مراكش وأن مولده بها كان سنه 562 هـ/1167م[3] ، في حين عده ابن القاضي (ت 1025هـ/1616م) من أهل فاس، لكن أصله كان أندلسيا من قرطبة[4]، وأما مترجموه من الأندلسيين ، فإنهم يعدونه أندلسيا خالصا ، فابن الأبار (ت 658هـ/1260) مع إقراره بأنه فاسي إلا أنه أورد ترجمته ضمن الأندلسيين وتجنب ذكره ضمن الغرباء[5].

ومع أنه من الواضح أن ابن القطان الأب ولد بفاس، وقضى جل حياته على أرض المغرب إلا أن الاختلاف في أصله يعد مظهرا من مظاهر التنافس بين علماء الأندلس والمغرب بمحاولة ضم من يبرز من العلماء في مجال المعرفة.

---

[1]–أحمد بابا التنبكتي(ت 1626/1036م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة ص 356.

[2]–ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق،(السفر الثامن)، القسم الأول، ص 165.

[3]–نفسه، ص 166.

[4]– ابو العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي(ت 1025هـ/1616م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، ج 2، دار المنصور للطباعة والوراقة، دط ، الرباط، 1974م، ص 470.

[5]–ابن الأبار، المصدر السابق، ج 3، ص 127.

وقد جمع ابن القطان الأب إلى جانب تبحره في علوم الحديث والمعرفة بطرقه ورجاله ، المعرفة في التفسير والحديث والفقه وأصوله والكلام والأدب والتواريخ والأخبار "ولذا كان إنتاجه العلمي كبيرا منه ما سخره ابن القطان لخدمة خلفاء الموحدين الذين عاش تحت ظلهم ، لكن كان من أهم تآليفه كتاب " بيان الوهم والإيهام"[1].

ولقد كان ابن القطان الأب على علاقة وثيقة بخلفاء الدولة الموحدية وظل مقربا منهم قرابة الأربعين عاما يخدمها خلالها، وكان" معظما عند الخاصة والعامة من دولة بني عبد المؤمن"[2]، حتى نال بخدمة السلاطين من الموحدين كما يذكر مترجموه" دنيا عريضة"[3].

وكان لابن القطان ابنين: أولهما أبو محمد حسن، والثاني أبو عبد الله الحسين[4]، وتتعلق دراستنا بالأول، وهذا الابن يذكره صاحب مفاخر البربر باسم الفقيه الحبيب الحافظ أبو علي حسن بن القطان الكتامي[5]، وأما ابن عذاري فيذكر مسميا إياه "أبي محمد بن القطان"[6]، ولكن بن عبد الملك المراكشي فيذكره باسم "أبي محمد حسن بن علي بن القطان[7]، وهو أقرب إليه فقد ترجم لوالده ترجمة وافية تناولت حياته وحاله في ظل خلفاء الموحدين.

وقد حرص أبو الحسن على تنشئة ابنه على طلب العلم منذ صغره، وكذا استجازة العلماء له ولابنه، خصوصا ممن يفد إليهم بالمغرب أو صحبه للقاء العلماء،والأخذ عنهم في تونس ومراكش[8].

وعبر ابن القطان الابن مع والده إلى مراكش سنة608هـ/1211م والتقى بعض العلماء هناك وأخذ عنهم، ولكنه عندما زار اشبيلية عثر هو ووالده على كنز مخفي عبارة عن دراهم مضروبة باسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م) فقام هو ووالده بتقدير وحساب وزن

---

[1]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص ص 167، 168.

[2]- نفسه، ص ص 169، 191

[3]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج 3، ص 127.

[4]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص 166.

[5]- نفسه، ص 171.

[6]- ابن عذاري المراكشي، ص 446.

[7]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص 166.

[8]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1، ص 125.

هذه الدراهم قبل تقديمها للخليفة الناصر (596-610هـ/1198-1213) الذي قدر لهم هذا الصنيع، وهذه الأمانة، وكافأهما على هذا الصنيع.

لقد كان ابن القطان في سن تسمح له بتقديم قيمة هذا الكنز الأثري، وربما كان عمره وقتها قد تجاوز العشرين، فمولده إذن كان في أوائل العقد الثامن من القرن السادس الهجري[1] وهنا نلحظ أن أبا الحسن بن القطان كان يحرص دائما على مرافقة ابنه حسن له أينما حل وارتحل، ولعله كان يفضله على أخيه الأخير، ولذا نظم الشاعر بن مجبر (ت588هـ/1192م)[2] أبياتا لأبي الحسن بن القطان شاهده بمحضر والده،يقول فيها:

جاء وفي يساره قوس وفي اليمنى قدح

كأنه شمس بدت وحولها قوس قزح

يا لائمي في حبه ما كل من لام نصح[3]

ولقد كان أبو محمد بن القطان الابن شيخا لابن عبد الملك المراكشي[4]، الذي نقل عنه كثيرا في ترجمته لوالده أبي الحسن ابن القطان، الذي وقف موقف المدافع عن والده في المسائل التي أخذت عليه[5].

ولعل اهتمام ابن عبد الملك بالتاريخ يرجع شيء منه إلى أبي محمد بن القطان[6]، الذي صرف عنايته إلى ابن عبد الملك كونه رفيقا لخاله الذي صحبه طويلا في لقاء الشيوخ والأخذ عنهم[7].

---

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 29.

[2]-ابن مجبر: أبو بكر يحي بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري من أهل بلش، عد شاعر المغرب في وقته اشتمل شعره على أكثر من تسعة ألاف وأربعمائة بيت، اتصل بالأمير أبو عبد الله بن سعيد بن مردنيش أمير بلنسية وشرق الأندلس ومدحه وبعد موت الأمير إنتقل إلى أشبيلية، توفي بمراكش سنة 588هـ/1192م، ينظر: المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م)، ج 3، تح إحسان عباس، دار صادر، ط 5، بيروت، 2008م، ص ص 237، 241.

[3]-نفسه، ج 4، ص 161.

[4] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص ص 127، 191.

[5]- نفسه، ص ص 170، 173،

[6]- نفسه، مقدمة المحقق، ص 16.

[7]- نفسه، ص ص 235، 237.

ولقد اتصل ابن القطان الابن بالخليفة الموحدي عمر المرتضى(646-665هـ/1248-1266م)، وكان للابن صيت الأب في خدمته خلفاء الموحدين، ولعلى المرتضى حفظ للابن صنيع الأب، فجعله من كتابه وإلا فهو في كل الأحوال من رجال دولته المقربين منه، وممن لهم إطلاع على الرسائل الرسمية[1].

وقد انتهز ابن القطان كون الخليفة الموحدي المرتضى صاحب علم وفقه، وإقبال على الأدب والشعر، وحب المطالعة في الكتب والمصنفات، فضلا عن إلمامه ببعض سلوكيات الخليفة، كحرصه على إحياء ليلة المولد النبوي الشريف[2]، ولذا سهر الليالي، وواصل الأيام متأملا أن يصنع لنفسه" دنيا عريضة " كما كان لولده، من خلال تصنيف مايتوافق وتوجهات الخليفة، وسلوكياته، فكان أن صنع له "جملة من الكتب الجليلة وأمده بالدواوين العظيمة، والخيرات الجليلة"، منها كتاب " نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان " وكتاب " شفاء الغلل في أخبار الأنبياء والرسل"،وكتاب " الإحكام لبيان آياته عليه السلام " وكتاب " المناجاة " وكتاب " المسموعات فيه قصائد متخيرات فيما يخص بالمولد الكريم، وشهر رجب وشعبان، ورمضان " وغير ذلك[3].

ويبدو أن أبا محمد ابن القطان كان يعد أباه مثله الأعلى في العلم وفي عصبيته للأسس العقائدية للدولة الموحدية والتفاني والإخلاص في خدمتها، والدفاع عنها، بل لقد احتذى الصغير خطوات الكبير في خدمة الخلفاء الموحدين ومصانعتهم بالحق والباطل[4].

ولقد مضى ابن القطان الابن بعيدا في تأكيد ولائه وطاعته للموحدين مثلما كان والده، ففي كتابه "الإحكام لبيان آياته عليه السلام " الذي صنفه للخليفة المرتضى، أورد جملة من أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- وآياته ومعجزاته، وربطها بأقوال لابن تومرت، كلها تؤكد أن الخلافة لعبد المؤمن بن علي[5].

---

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 89، 116، ابن عذاري، المصدر السابق، ص 446.

[2]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص ص 446، 447.

[3]- نفسه، ص 446.

[4]- ابن القطان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 26.

[5]- نفسه، ص 171.

وبهذا فقط استطاع مؤرخو البلاط- ابتداء بالبيذق ويليه ابن صاحب الصلاة ثم عبد الواحد المراكشي فابن القطان – ترك بصمات واضحة في تدوين التاريخ الموحدي بحكم إحتكاكهم بالبلاط وتأثرهم بفكر وعقيدة واتجاه داعيها ابن تومرت ومؤسسها عبد المؤمن بن علي ومن تبعه من بنيه.

المبحث الثالث: الدور العلمي لمؤرخي البلاط الموحدي

أولا: أهم مؤلفاتهم وطريقة عرضها وترتيبها.

ثانيا: العوامل المؤثرة في توجيه كتاباتهم.

ثالثا: أثر ثقافتهم في الدعاية للموحدين.

رابعا: دورهم في رسم الصورة التاريخية للدولة الموحدية.

لمؤرخي المسلمين صور متنوعة في الكتابة التاريخية، منها تواريخ العالم، والأقاليم، والمدن[1]،وإن كان يغلب على مصنفات المغرب والأندلس الاهتمام بالناحية الدينية والتراجم[2].

1–أهم مؤلفاتهم وطريقة عرضها وترتيبها:

فالبيذق دون كتابه "أخبار المهدي بن تومرت" في فترة تأسيس الدولة الموحدية، وخلال معاصرته لداعيها ابن تومرت، ومؤسسها عبد المؤمن بن علي،كان كتابه من أهم المصادر التي تناولت نشأة تلك الدولة.

وقد رتبه على الأبواب ذاكرا الأحداث من أيام ابن تومرت إلى وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي(524–558هـ/1130–1163م) وولاية ابنه يوسف (558–580هـ/1163–1184م)[3]، مخصصا بابين لذكر الثوار على الموحدين بالمغرب والأندلس، وبابا لتسمية الحصون التي بناها المرابطون في المغرب لمواجهة هجمات الموحدين[4].

وأما الباب الأخير، فيتضمن حوليات مختصرة للأحداث التي بدأت من سنة 515هـ/1121م حيث بويع ابن تومرت، حتى سنة 527هـ/1132م، وبداخل تلك الأبواب تبدو محاولات غير منسقة لسرد بعض الأخبار على السنين[5].

وأما ابن صاحب الصلاة فرغم أنه كان" أديبا كاتبا محسنا"[6]–كما سبق الذكر–إلا أنه اعتنى أكثر بالتاريخ وتدوينه، حيث اشتهر بتصنيفه فيه وإجادته له[7].

فقد صنف كتابين أولهما كتاب" تاريخ ثورة المريدين بالأندلس"[8] وهو كتاب مفقود نقل عنه

---

[1]– عبد العليم خضر، **المسلمون وكتابة التاريخ**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط 2، الرياض، 1990م، ص 73.

[2]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 114.

[3]– البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، ص ص 34–80.

[4]– نفسه، ص ص 155–180.

[5]– نفسه، ص ص 95،137.

[6]– ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة، السفر الخامس(القسم الأول)**، ص 32

[7]– ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج 3، ص 15

[8]– هذا الكتاب صنفه ابن صاحب الصلاة في تاريخ ثورة نشبت في أعقاب انهيار دولة المرابطين هي ثورة أبي العباس أحمد =

ابن الأبار في كتابه "الحلة السيراء"[1] وأثنى ابن عبد الملك المراكشي على مادته مشيرا إلى أن ابن صاجب الصلاة أحسن وأفاد، أما الكتاب الثاني فهو "دولة بني عبد المؤمن ومن أدرك بحياته من بنيه"[2]، وهو الكتاب الذي سماه مصنفه" المن بالإمامة" وهو كتاب عرف به ابن صاحب الصلاة واشتهر به لذا نعته ابن الأبار بأنه " صاحب التاريخ"[3]، وأما ابن الخطيب وبعده المقري فقد ذكراه باسم "تاريخ الموحدين"[4] لاختصاصه بالحديث عن هذه الدولة.

ولقد جاء عنوان الكتاب طويلا يثير العجب والاهتمام فهو" تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وأخير الخلفاء الراشدين"، وهذا العنوان جاء معبرا عن المادة التاريخية للكتاب، يعيد الأذهان إلى قوله تعالى:"ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ".

ومع ما يفيد هذا الاقتباس من الآية القرآنية من إشارة إلى فضائل الموحدين وانتصارهم على المرابطين إلا أنه جاء أيضا معبرا على حال ابن صاحب الصلاة عندما من عليه الخليفة أبو يعقوب يوسف.

وجاء كتاب "المن بالامامة " في ثلاثة أجزاء، فقد منها الجزآن الأول والثالث ولم يصل إلينا منها سوى الجزء الثاني وقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى هذا التقسيم في عباراته التي ختم بها كتابه[5].

=بن قسي التي تصنف ضمن حركات الصوفية بالاندلس، الذي أضمر عداءه للموحدين، وادعى الهداية وتعاطى الشعوذة وساءت سيرته بين الناس، وتحصن في حصن ميرتلة، فحاصره الموحدين أدخلوا إليه أحد المقربين منه فاحتال عليه وأخرجه من مخبئه وسيق إلى المغرب حيث مثل أمام الخليفة عبد المؤمن بن علي، حيث عفى عنه الخليفة وبقي في حضرته بالمغرب حتى قتله بعض أصحابه الذين كانوا معه بالأندلس، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 280،281.

[1]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج 2، ص 207

[2]- ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة، السفر الخامس (القسم الأول)**، ص 32.

[3]- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج 3، ص 15.

[4]- لسان الدين ابن الخطيب(ت 776هـ/1374)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح محمد عبد الله عنان، ج 3، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1973م، ص 213.

[5]- أنظر الملحق رقم ص .

وهذا الجزء يبتدئ بأحداث سنة 554هـ/1159م وينتهي بأحداث سنة 568هـ/1172م[1]، ويضم بعض أخبار الخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) [2]وابنه أبي يعقوب يوسف (558-580هـ/1163-1184م) أي فترة خمسة عشر عاما من تاريخ دولة الموحدين، ويعرض كتاب " المن بالامامة " تاريخ دولة الموحدين منذ ظهور داعيها ابن تومرت فقد نقل ابن القطان نصوصا مبكرة منه تتناول ابن تومرت وتنظيمه لأصحابه وأتباعه في طبقاتهم المعروفة.

واستمرا ابن صاحب الصلاة يسرد كتابه حتى أواخر عهد الخليفة المنصور (580-595هـ/1184-1198) أو حتى وفاة مصنفه فقد أورد خبرا صحب فيه الخليفة المنصور وولي عهده الناصر(595-610هـ/1198-1213م) وإخوانه وأشياخ الموحدين وطلبة الحضر.

ويبدو أن ابن صاحب الصلاة كان قد خصص السفر الأول لأخبار ابن تومرت وجزء من أخبار خليفته عبد المؤمن بن علي ثم استكمل في السفر الثاني أخبار عبد المؤمن وابن أبي يعقوب يوسف وفي السفر الثالث استكمل أيضا أخبار عهد أبي يعقوب واحتفل بها باعتبار أن الكتاب صنف لتدوين سعد أيامه، كما يذكر مصنفه[3].

وقد اضطرب ابن صاحب الصلاة كثيرا في ترتيب كتابه فلم يسر على منهج معين فقد بدأ محاولا ترتيب كتابه على الطريقة الحولية موردا افتتاحية مثل " وفي سنة كذا" أو " في هذه السنة " أو يذكر السنة التي يؤرخ لها كعنوان ينطلق منه لسرد أحداثها وقد يضع الاثنين معا[4].

ولكنه عند الخوض في غمار الأحداث ، لا يلتزم بهذا الترتيب إذ يضع عناوين كثيرة وطويلة وبارزة لبعض الأحداث تصل إلى عدة أسطر يحاول فيها أن يضع مختصرا لما سيأتي لاحقا أو يوجز ما مر سابقا[5].

وكثيرا ما يستطرد ابن صاحب الصلاة في سرد التاريخي فينتقل من حدث إلى أخر متجاوزا السنة التي يدون أحداثها أو عائدا إلى أحداث سابقة عليها إذ وهو يؤرخ لأحداث سنة 567هـ/1171م ذكر أخبار تعود إلى سنة 591هـ/1194م.

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص17.

[2]- نفسه، ص 163.

[3]- نفسه، ص 341.

[4]- نفسه، ص ص 65 ،210 ،286.

[5]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص220، 221، 222.

وعندما ينتبه ابن صاحب الصلاة إلى ابتعاده عن سنته التي يؤرخ لها يعود بعبارة كثيرا ما يرددها وهي " رجع الخبر "أو "فلنرجع إلى ذكر..." ومع شعوره بأنه تجاوز كثيرا في ابتعاده عن موضوعه يعتذر بان الحديث شجون، يوجب إدخال ما تقدم مع ما تأخر[1].

أما عبد الواحد المراكشي فيرجع سبب تأليفه لكتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " إلى وزير عباسي[2]، في عهد الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م)، حيث سمعه يذكر أخبار دولتهم عموما،كما سمعه يحن إلى وطنه فيكثر من ذكر مواطنيه بالجميل فأذكى ذلك عنده الرغبة في المزيد من المعرفة عن المغرب ودولته الحاكمة الموحدية فالتمس منه " إملاء أوراق تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته، وحدود أقطاره وشيئ من سير ملوكه، وخصوصا ملوك المصامدة من بني عبد المؤمن، من لدن ابتداء دولتهم إلى وقتنا هذا- وهوسنة 621هـ- وأن ينضاف إلى ذلك نبذة " من ذكر من لقيته، أو لقيت من لقيه، أو رويت عنه بوجه ما من وجوه الرواية من الشعراء والعلماء وأنواع أهل الفضل"[3].

ولم يجد عبد الواحد المراكشي بدا من الامتثال لهذا الطلب، وقد عظمت منزلة الطالب في نفسه وجميل إحسانه للمراكشي الذي أحبه والتزم بواجب بره وطاعته، والحرص على إرضائه[4].

وقد صنف كتابه المعجب وهو يتألف من قسمين أساسيين، الأول خاص بالأندلس استهله بجغرافية تلك الديار، ثم نبذة عن تاريخها منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الأموية بها، ثم استعرض أخبار الأمراء والخلفاء الأمويين بمراكش وعبورهم العدوة إلى الأندلس وضمها إلى دولتهم ومواجهتهم للنصارى بها حتى زوال ملكهم على أيدي الموحدين[5].

---

[1]-ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ص35،36 .

[2]- لم يشر عبد الواحد المراكشي إلى اسمه عندما اعترف بفضله عليه في مقدمة كتاب **"المعجب"** وإنما عبر عنه قائلا: "أيها السيد الذي توالت علي نعمه". عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص23.

[3]- عبد الواحد المراكشي المصدر السابق، ص ص23،24.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص23،24.

[5]- نفسه، ص 25.

واختص القسم الثاني من المعجب بأخبار الموحدين بالمغرب والأندلس منذ ظهور دعوة ابن تومرت وإعلانه الثورة على المرابطين واستيلاء عبد المؤمن بن علي على بلاد المغرب وأفريقية والأندلس، مرورا بأخبار الخلفاء بعد عبد المؤمن وتصديهم للنصارى بالأندلس، حتى توقف عند أحداث سنة 621هـ/1224م حيث وقع الخلاف حول ترشيح خلف لأبي يعقوب الثاني(610-620هـ/1213-1223م)[1].

وانتقل عبد الواحد المراكشي بعد ذلك إلى تقديم معلومات حول المجتمع المصمودي[2]، تلاها بلمحة جغرافية عن شمال أفريقيا والأندلس واشتملت على ذكر أقاليم بلاد المغرب وذكر بلاد الأندلس وما يملكه المسلمون من مدنها زمن تأليف الكتاب، ومعادن المغرب والأندلس والأنهار العظيمة بشمال أفريقيا[3].

وألف ابن القطان كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" معبرا عن كونه موسوعة من نوع كتب التاريخ العام الأمر الذي يدل أن القطعة المنشورة ليست إلا جزء صغيرا منه لكنه مع سعة محتواه يأتي في المرتبة التالية لكتاب " المن بالامامة " بالنسبة لتاريخ الموحدين[4].

ولذا يبدو أن كتاب " نظم الجمان "كان يتضمن تاريخا شاملا للمغرب حتى عصر مصنفه مع معلومات في التاريخ الإسلامي[5]، ساقها ابن القطان على طريقة الحوليات مع تقسيمه لكتابه إلى عدة أسفار، فقد أشار ابن عذارى إلى ذلك قائلا:"فذكر ابن القطان في السفر الثالث عشر من كتاب "نظم الجمان "، ثم تناول رحلة ابن تومرت إلى الأندلس سنة 500هـ/1106م[6] وهذا يتفق مع

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 343-413.

[2]- نفسه، ص ص 420-430.

[3]- نفسه، ص ص 430-460.

[4]-سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، ج 3، ، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 2000م، ص ص 19،22.

[5]- إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم في القرن 9هـ/15م**، ج 1، دار الرشاد الحديثة، (د، ط) الدار البيضاء،2000م، ص ص 266،267.

[6]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج 4، ص95.

استهلال ابن القطان أخبار القطعة المتبقية من كتابه في أخبار السنة الأولى من المائة السادسة[1]، التي يبدأ بها السفر الثالث عشر الذي وصل إلينا.

ويرجح محقق القطعة المتبقية من كتاب " نظم الجمان " أن أصل الكتاب سبع أجزاء ضاعت[2]، لم يبقى منها سوى قطعة من الجزء السادس غطت الأخبار المغربية لفترة ثلاثة وثلاثين سنة ابتداء من سنة 501هـ/1107م إلى سنة 533هـ/1138م[3].

وبهذا كان مصدرا لاغنى عنه بالنسبة لعهدي ابن تومرت(515-524هـ/1121-1130)، وعبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) في أواخر عهد المرابطين بالمغرب والأندلس ومرحلة قيام الدولة الموحدية[4].

---

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص 61.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 46.

[3]- نفسه،ص ص 61،263.

[4]- قام محمود علي مكي- محقق القطعة المتبقية من كتاب "**نظم الجمان**"بترتيب أوراق المخطوط الوحيد المعروف لدينا الآن لهذه القطعة حسب الترتيب الزمني للسنوات، مع قيامه بتعديل نظام الأوراق حتى يتماشى مع هذا الترتيب مقدمة المحقق، ص 56. ولكن هذا الإجراء أدى إلى خلط في إحالات ابن القطان داخل الكتاب وتقديم المتأخر ومن ذلك على سبيل المثال قول ابن القطان عن أهل الخمسين" سيأتي ذكرهم جميعا بعد إن شاء الله تعالى " ولكن جاء ذكرهم قبل هذه الإحالة،(قارن بين الصفحتين84و124).

2-العوامل المؤثرة في توجيه كتاباتهم التاريخية:

النظر في العوامل والمؤثرات التي عاش في ظلها مؤرخو الدولة الموحدية، وأدت إلى صياغة توجهاتهم التأليفية، ونمط كتاباتهم التاريخية لهو جد مهم، باعتباره يرتبط ومواقفهم السياسية والفكرية مدى تمتعهم بالحس التاريخي اللازم للتعامل مع متطلبات التدوين التاريخي في فترة كان لها طابعها الفكري القائم على الإيمان بفكر ابن تومرت، أو معارضته.

ولعل من أهم ما تداخل مع فكر مؤرخي البلاط الموحدي وشكل صورة كتاباتهم المغرضة لسادتهم الموحدين، توافقهم غير المعلن في النقل عن مصادر مغالية مثلهم، سواء أكانت شفوية أو مصادر كتابية، عرفت بهذا الاتجاه، أو عدلوا معاني نصوصها أو زادوا فيها مما يتفق وتوجهاتهم وأهدافهم.

ولا شك أن معاصرة مؤرخي الموحدين لأحداث دولتهم وقربهم من الزمن الذي دارت فيه الأحداث التي أرخوها جعلهم أقدر من غيرهم من المؤرخين اللاحقين على تصوير أحاثها بألوانها الحقيقية باعتبار أن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيرا على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة، مما يجنب المؤرخ الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها من لم يحذوا حذوه واعتمد كثيرا على النقول من المدونات[1].

ولقد كان البيذق تلميذا مخلصا لشيخه ابن تومرت، وخادما أمينا له في حياته، ولدعوته بعد مماته، لذا برأه من العيوب، وناصره مناصرة مطلقة، وشابهه ابن القطان الذي تقلب في نعمة الموحدين، وقدس آثار داعيهم ابن تومرت، فلم يذكر إسمه إلا مقرونا بالعصمة في مبتدئه ويرضي الله عنه في آخره، لذا كان هذين المؤرخين بالذات يعبران تعبيرا صادقا عن رأي المخلصين للدعوة الموحدين المتفانين في إعلاء شأنها[2]، واللذان ينطبق عليهما قول عبد الواحد المراكشي: "ولم تزل طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر، وفتنتهم به تشتد، وتعظيمهم له يتأكد، إلى أن بلغوا في ذلك إلى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه، أو أخيه، أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء"[3].

وحاول البيذق في كتابه ترسيخ مبدأ الإلهام الإلهي في توجيه أعمال قادة الموحدين، وأنه تم إختيارهم بعناية إلهية باعتبارهم أهل علم الموفقين بهدى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[4].

---

[1]-عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية،1997م، ص 124.

[2]-عبد الله علام، المرجع السابق، ص 336.

[3]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 259.

[4]-البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، ص ص 34، 60.

لقد آمن البيذق بعصمة ابن تومرت ومهديته، وغالى في ولائه له إلى حد أن دون أخباره مشوبة بالتعظيم له[1]، حيث مدح ابن تومرت وأفرط في ذلك إلى حد تسجيل الكثير من الأمور الخيالية، والخارقة للعادة وربطها بمواقفه مع أمراء المرابطين وعلمائهم، والحروب ضدهم[2]، وأن عبد المؤمن بن علي كما يقول ابن تومرت: "طوبى لمن عرفه، وويل لمن أنكره"[3].

واعتمد ابن صاحب الصلاة على مجموعة من رجالات الدولة الموحدية، عرفت بولائها للدولة وخدمتها لها[4]، لذا فلن يسمع منه إلا مايسره ويتوافق مع مايريد كتابته، أو ما هو مطلوب كمؤرخ بلاطي، لذا كانت مبالغته الشديدة والواضحة في مدح رجال السلطة الموحدية عموما، يشهد بذلك إسم الكتاب بنفسه، الذي جاء معبرا عن محتواه ومفصحا عن كتاب موحدي المعالم، يتحيز مؤلفه البلاطي لرجال دولته، خصوصا وقد منحه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1163-1184م) ظهيرا يعبر عن ولائه وطاعته للموحدين، اندفع بعده ابن صاحب الصلاة بحماس كبير ليدون كتابا في أيام الخليفة الذي أنعم به عليه عبارات الولاء، والإجلال وأجمل أيام الخليفة وأسعدها[5].

لقد كتب ابن صاحب الصلاة بوحي من إيمانه بمهدية ابن تومرت وعصمته[6]، والتي جاءت بعد دراسة معمقة لمصنفاته، ولواء مطلق لخلفاء الموحدين الذين وصفهم بأنهم راشدون[7]، وابتهل بالدعاء لهم كثيرا وبحماس منقطع النظير[8]، وتمنى لهم العزة دائما كلما مر ذكرهم، واختار من النظم ما توفق به الشعراء في المدح والثناء لهم باعتبارهم —من وجهة نظره-"أولياء الله الموحدين الأبرار"[9].

واستعمل ابن صاحب الصلاة أقبح الصفات في وصف الثائرين عن الموحدين بالمرتدين والمارقين، والمنافقين، والغادرين، والفاسقين، والملعونين.

---

[1]- البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، ص ص 34، 44.

[2]- نفسه، ص ص 37، 59.

[3]- نفسه، ص 38.

[4]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 110، 153.

[5]- نفسه، ص 341.

[6]- نفسه، ص 342،

[7]- نفسه، ص341، ويظهر ذلك جليا من خلال عنوان الكتاب.

[8]- نفسه، ص ص 71، 92.

[9]- نفسه، ص 73.

وفي المقابل لم يذكر الموحدين إلا ووصفهم بأنهم الأبطال، وأولياء الله الأبرار والصابرين والصادقين، والمؤمنين[1].

ويرى عبد الواحد المراكشي أن هناك تقاليد يجب مراعاتها في مخاطبة الملوك، ومعاملتهم، وقد أكد عليها، فسار عليها في كتاباته فيما يتعلق باحترام خلفاء الموحدين، وعدم المساس بهم، فهو يعرف أن نكبة أبي الوليد ابن رشد(ت 595هـ/1198)، كانت نتيجة عدم إتباعه لهذه التقاليد، مما عرضه لمحنة قاسية في عهد الخليفة يعقوب المنصور(580-595هـ/1184)[2].

ولقد تظافرت عوامل عدة إلى جانب ما سبق أسهمت بدرجات متفاوتة في توجيه كتابة عبد الواحد المراكشي وعرضها، كانت وليدة الوضع الذي عاشه في المغرب الإسلامي، ثم في المشرق، فهو مضطر في بعض الموضوعات، لأن يسبقها بملخص يوضح تطورها، فهي مجهولة في المشرق ومعروفة في المغرب والأندلس ومن ذلك على سبيل المثال تعريف عبد الواحد "ببني غانية" بالأندلس منذ أن وجههم علي ابن يوسف ابن تاشفين(500-537هـ/1106-1142) إلى الأندلس[3].

ورغم ابتعاد عبد الواحد المراكشي عن الموحدين إلى أنه كان يخشى عاقبة تسجيل حدث يبدو مخجلا أو مهينا لهم عند المشارقة، فقد نفى المراكشي سماح الموحدين ببناء كنيسة بالمغرب، يمارس بها النصارى شعائرهم الدينية[4]، لكن مؤرخي الموحدين الذين عاشوا في عهد المرينيين لم يجدوا حرجا في إثبات ذلك، فقد ذكر ابن أبي زرع أن أول كنيسة كانت بعهد المأمون الموحدي(626-630هـ/1228-1232م) الذي طلب مساعة عسكرية من ملك قشتالة فرنادو الثاني لاسترجاع سلطنة من منافسه الأمير الموحدي يحي الناصر(624-626هـ/1226-1228م)، فاشترط عليه الملك القشتالي في حال انتصاره واستيلائه على مراكش أن يبني كنيسة للنصارى الذين يسيرون معه في وسط مراكش "فأسعفه في جميع ما طلب منه"[5].

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 83، 199.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 334.

[3]- نفسه، ص 321.

[4]- نفسه، ص 425.

[5]- علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** تح عبد بن منصور، المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، 1999م، ص 329.

وقد أكد ابن خلدون(808هـ/1406م) ذلك مشيرا إلى أن المأمون استمد عسكرا من النصارى، فأمدوه على شروط تقبلها منهم بحيث أذن بعد ذلك للنصارى القادمين معه ببناء كنيسة في مراكش[1].

لقد عاش عبد الواحد المراكشي في كنف الموحدين وتنقل بين المغرب والأندلس، مظهرا الولاء لخلفاء الموحدين، ولولاتهم لكنه عندما كتب معجبه وهو بالمشرق كتب بعيدا عن أي مؤثر وقتي فجاءت كتاباته تحمل الكثير من النزاهة والإنصاف مع ميل ملحوظ إلى جانب الموحدين، وإن تأثرت في جانب الدقة كثيرا وإذا كان في بعض الأحيان يمدح الموحدين، ويثني عليهم، فمرد ذلك إلى إعجابه الصادق وتقديره الخالص[2].

فقد كانت علاقته المتينة بأبناء الخليفة عبد المؤمن بن علي، وأبناء أبنائه[3]، حافزا له في انطلاقته للكتابة عن دولتهم بما لها وما عليها، ويمن الثقة بما وعد به المراكشي، ووثقه في تصنيفه بقوله:" لم أثبت في هذه الأوراق المحتوية على المصامدة وغيرها إلا ما حققته نقلا من كتاب، أو سماها من ثقة عدل، أو مشاهدة بنفسي، هذا بعد أن تحريت الصدق، وتوخيت الإنصاف في ذلك كله وجهدت ألا أنقص أحد ذرة مما له ولا أزيده خردلة مما لا يستحقه"[4].

وعدم قدرة المراكشي على رفض ما يريد الوزير العباسي كانت أهم عامل مؤثر في تأليف كتاب "المعجب"، فقد سأله الوزير"إملاء أوراق تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره، وشيء من سير ملوكه وخصوصا ملوك المصامدة بني عبد المؤمن...وأن ينظاف إلى ذلك نبذة من ذكر من لقيته، أو ليقيت من لقيته، أو رويت عنه بوجه ما من وجوه الرواية"، فسارع عبد الواحد إلى إنجاز ذلك رغم الصعاب قائلا:" لم أرى بدا من إسعافك، والمسارعة إلى ما فيه رضاك إذ هي الغاية التي أجري عليها، البغية التي أثابر أبدا عليها، ولوجوب طاعتك علي من وجوه يكثر تعدادها"[5].

ولم يكتفي الوزير، بل سأله أيضا أن ينضاف إلى هذا التصنيف ذكر أقاليم المغرب وتعيين مدنه وتحديد ما بينها من المراحل عددا من لدن برقة إلى سوس أقصى، وذكر جزيرة الأندلس، وما يملكه

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج 6، ص ص254 ، 255.

[2]- علي أدهم، **بعض مؤرخي الإسلام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط، بيروت، 1974م، ص 147.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 265، 302.

[4]- نفسه، ص 414.

[5]- نفسه، ص ص 23، 24.

المسلمون من مدنها على ما تقدم، ومرة أخرى لم يجد عبد الواحد المراكشي من الانصياع قائلا:"لم يرى المملوك من جري على العادة في سرعة الإجابة وامتثال مرسوم الخدمة لوجوب ذلك شرعا وعرفا،هذا مع أن هذا الباب خارج عن مقصود هذا التصنيف"[1].

وفي أثناء التصنيف كان المراكشي يوجه الخطاب للوزير بالدعاء والامتنان، وما إن أنجز ما طلب منه، حتى رفع أكف الضراعة إلى الله مبتهلا أن يلقى ما صنعه القبول والرضا من لدن الوزير العباسي[2].

ولكن المراكشي وهو يقيم في بغداد في كنف العباسين وإن تحرر من سلطة الموحدين لكنه وقع تحت مؤثر آخر هو مجاملة العباسيين بالدعاء للخلافة العباسية بأن يبقيها الله وذلك قيل أن يعترف أن ابن تومرت هو من قطع ذكرها بالدعاء لها بالمغرب والأندلس[3].

وكما أن للمعاصرة فضلا في رؤية الأحداث عن قرب، والتثبت من وقائعها، إلا انها قد تكون في بعض الأحيان حاجبا يحول والمؤرخ دون ذكر الحقيقة، إما رهبة من السلطان أو رغبة في التقرب إليه ومجاملته، فيعمد المؤرخ إلى إخفاء بعض عيوبه خوفا من بطشه، أو تفاديا لغضبه عليه، إذا صرح بتلك العيوب، وقد يلجأ إلى الإسراف في ذكر محاسن السلطان وامتداحه مصانعة له، وتقربا إليه بغية الظفر بمنصب أو جائزة ثمينة[4]، مثلما هو الحال مع ابن القطان الذي كان والده من أكابر دولة الموحدين المدافعين عنها وكانت له علاقة وثيقة بثلاث خلفاء تعاقبوا على حكم هذه الدولة، خدمهم قرابة الأربعين عاما، كان خلالها "معظما عند الخاصة والعامة من آل دولة بني عبد المؤمن"[5]، حتى نال بخدمتهم "دنيا عريضة"[6].

ولا ريب أن الأب اهتم بتربية ابنه على طاعة الموحدين، والولاء لسلاطينهم مما أثر ذلك على الإبن، الذي فاق أباه مصانعة لهم، ودفاعا عنهم، ومعتقداتهم التومرتية، لذا صنف للخليفة المرتضى(646-665هـ/1248-1266)عدة كتب منها كتاب "نظم الجمان"[7]، الذي يتضح في كل سطر

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 430، 431.

[2]- نفسه، ص 426.

[3]- نفسه، ص 147.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 125.

[5]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص 169.

[6]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج 3، ص 127.

[7]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 446.

فيه الدفاع عن الموحدين وتمجيدهم، والحط من شأن مناوئيهم ومخالفيهم، وقد دافع وصانع للموحدين كواحد منهم، مستعملا كلمات تجمعه معهم مثل "نسبونا"، "قلنا لهم"، "وأعلنا به في المحافل والجموع"، فضلا عن آرائه الخاصة التي ملأ بها كتابه دفاعا عن الموحدين، مؤكدا أن ابن تومرت هو الإمام المهدي المنتظر من المسلمات التي لا نقاش فيها[1].

وكل ذلك حاد بكتابات ابن القطان التي بين أيدينا عن جادة الحق والصواب إلى جادة ذات إتجاه واحد، هو الحماسة الشديدة للدعوة الموحدية، حماس لا يعني الإخلاص الحقيقي لها، ولا الإيمان الصادق بمبادئها وإنما مبتغاه سلوك طريق الجاه والسلطان[2].

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 67، 68.

[2]- نفسه، مقدمة المحقق، ص 38.

3- أثر ثقافة مؤرخي البلاط في الدعاية الموحدية:

استحضر مؤرخو البلاط الموحدي عدة وقائع من التاريخ القديم والتاريخ والإسلامي، ثم ربطوه بأحداث وقعت في عهد الموحدين، تدعيما لدعوتهم.

حيت يدرك المطالع لكتابات البيذق، وابن القطان، محاولات هذين المؤرخين خاصة إيجاد جوامع مشتركة بين فترة الدعوة النبوية ، وتأسيس الدولة الإسلامية في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم- وفترة تأسيس ابن تومرت، وعبد المؤمن بن على للدولة الموحدية حتى مع اختلاف المواقف.

فقد استخدم البيذق لفظة المؤاخاة في إشارته إلى إلحاق ابن تومرت أصحابه الذين رافقوه الى المغرب ببعض القبائل المستقرة في تينملل[1] موطن هجرته ومنطق دعوته[2].

وودع الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه في حجة الوداع في سنة 10هـ/631م وتضمينه خطبته ، وهو على ناقته خلال حجة الوداع مبادئ ووصيا[3]، ربطه البيذق وكذلك ابن القطان، بما اعتبراه موادعة ابن تومرت للناس وإشعارهم بقرب وفاته، فقد خرج ابن تومرت لما ازداد به المرض راكبا بغلته، وجمع الناس ليسمعهم كلامه، ووداعه،فقال لهم:"إن المهدي مرتحل عنكم، فبكى الناس، واستوحشوا "،فقالت له أخته زينب[4]:" وإلى أين تغيب عنا ؟ ألم يكفك أن غبت عنا خمسة عشر عاما"-أي خلال رحلته لطلب العلم-وقالوا له:"إن كنت تسير إلى المشرق نسير معك ؟، فقال:" إنما أسافر وحدي "، ثم أخذ يعظ الناس ويودعهم بعد العصر إلى أن كاد الشفق أن يغيب، بعدها اشتد به ألم المرض حتى توفي سنة 524هـ/1130م[5].

---

[1]-**تينملل**: تين ملل، الميم مفتوحة، والآم الأولى مشددة مفتوحة: جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البربر، بين أولها ومراكش سرير ملك ببني عبد المؤمن اليوم، نحو ثلاثة فراسخ، بها أول خروج محمد بن تومرت، ينظر، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله، الرومي، البغدادي)، **معجم البلدان**، مج 2، دار صادر، بيروت، 1977

[2]-البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص 23.

[3]-مهدي رزق الله أحمد، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، دار إمام الدعوة، ط 2، الرياض، 2003، ص 259.

[4]-زينب أخت المهدي: إخوة ابن تومرت ثلاثة ذكور،هم:عيسى وعبد العزيز وأحمد الكفيف وانثيان واحدة من أمه وأخرى من أبيه لم تذكر المصادر إسمها، فأما زينب فقد كناها البيذق أم عبد العزيز التي كانت بجانبه بعد عودته من المشرق، وكانت ترعاه في أثناء مرضه وحضرت وفاته سنة 524هـ/1130م، ينظر: البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص 26.

[5]-البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، ص77.

ويحرص البيذق على تشبيه ابن تومرت في غزواته بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما يذكره البيذق عن الغزوة الخامسة لابن تومرت من أنه عندما التقى الجمعان سقط ابن تومرت في أرض المعركة، فالتف حوله الكثير حتى تمكن من النهوض، وقاتل حتى انهزم الأعداء المرابطين[1]، وهذا التصور نفسه يعيد البيذق التأكيد عليه في الغزوة السابعة لابن تومرت[2].

ولا يخفى أن في ذلك ربطا بما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم في معركة أحد سنة 4هـ/624م عندما قاتل الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، واستمر يقود المعركة، وحوله مجموعة من الصحابة حتى انتهت المعركة[3].

وفي كل تلك الغزوات التي يوردها البيذق يحرص أيضا على ذكر ابن تومرت مشتركا في المعركة على نحو ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، لكنه لم يجعله ضمن المحاربين في معركة البحيرة التي هزم الموحدون فيها المرابطين سنة 524هـ/1130م[5].

وقد أفاد البيذق من حفظه لبعض سور القرآن الكريم، وإلمامه ببعض المسائل الفقهية في استشهادات وأحكام تدعم موقف الموحدين ضد أعدائهم المرابطين.

واعتبر البيذق قوله تعالى:"فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه"[6]، مبررا كافيا لشتم المرابطين ووصفهم بالقبيح من الصفات والأفعال، لأنهم بدؤوا بذلك عندما لقبوا الموحدين بالخوارج[7].

وأما ابن صاحب الصلاة فأفرط في تملقه للموحدين حيث شبه أيام الخليفة أبي يعقوب يوسف(558-580هـ/1163-1184م) وما ناله الناس في خلافته على اختلاف طبقاتهم من أموال ورخاء بأيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه[1].

---

[1]-البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، ص ص 68، 69.

[2]-نفسه، ص ص 69، 70.

[3]-المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، المكتبة العصرية، ط 1، صيدا، ،بيروت، ص ص 240، 245.

[4]-البيذق أخبار المهدي ابن تومرت، ص ص 65، 71.

[5]- نفسه، ص ص 72، 75.

[6]-سورة البقرة، الآية 194.

[7]-البيذق، المصدر السابق، ص 71.

وشبه ابن صاحب الصلاة عزم الخليفة أبي يعقوب يوسف جهاد النصارى بالأندلس بعد تجديد البيعة له سنة 563هـ/1167م بما فعله الخليفة الراشد أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– حيث بعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام غازيا للروم[2].

ولما وصلت بشائر النصر على صاحب آيلة[3]، سنة 568هـ/1172م والتي خص بحملها إلى مراكش يحي بن أبي العلاء بن أبي إسحاق بن جامع رآه ابن صاحب الصلاة عند وصوله وهو"من التعب حيران، يتمايل من عدم النوم كالنشوان" ومع ذلك فقد التقى الخليفة أبي يعقوب يوسف ووصف له النصر والفتح، فكان في وصف هذه الوقيعة أفصح من من عرار بن عمرو بن شأس الأسدي حين بعثه الحجاج بن يوسف برأس عبد الرحمن بن الأشعث[4]، سنة 84هـ/703م إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كما يروي ابن صاحب الصلاة[5].

ويعمد عبد الواحد المراكشي إلى تجميل حال الموحدين وذلك عبر تضمين أخباره وإضافة لها النوادر، والفكاهات المستمدة من التاريخ، ومن ذلك على سبيل المثال تشبيه خروج الخليفة الموحدي المنصور(580–595هـ/1184–1198م) للقاء النصارى في موقعة الأرك سنة 591هـ/1195م وبحثه عن الصالحين ليجعلهم بين يديه كلما خرج للقتال وقوله عنهم: هؤلاء الجند لا هؤلاء ويشير إلى

---

[1] –يذكر المسعودي أن عثمان رضي الله عنه كان" في نهاية الجود، والكرم، والسماحة، والبذل في القريب والبعيد" وفي أيامه اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والدور، ينظر: المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت546هـ/1157م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح كمال حسن مرعى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2008، ص ص 261، 263.

[2] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 272.

[3] – **آيلة:** بلدة أندلسية تقع شمال غربي مدريد إليها ينسب الآيلي شيخ ابن خلدون، من أشهر آثارها الباقية أسوارها الضخمة وبها من الكنائس ما يعد في الطبقة الأولى بين كنائس إسبانيا وبها ساحة منسوبة إلى المنصور بن عامر، ينظر: محمد عبد الله عنان، **الآثار الباقية في إسبانيا والبرتغال**، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة، 1997، ص 326، 327.

[4] –**ابن الأشعث:** عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي صاحب الوقائع الشهيرة مع الحجاج بن يوسف الثقفي إذ إذ بعثه إلى سجستان فثار هناك ونشبت بينه وبين جيوش الحجاج معرك ظفر فيها وتم له ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس ثم خرجت البصرة من يده فاستولى على الكوفة فقصده الحجاج وحدثت بينهما هزائم جيشه وتفرق من معه فلجأ إلى " رتبيل" ملك الترك فيما وراء سجستان، لكنه قتله وبعث برأسه إلى الحجاج سنة 84هـ/703م، ينظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج3، ص ص 454، 456.

[5] –ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 273.

العسكر بما حكى عن قتيبة بن مسلم[1]،والي خرسان حين لقي الترك، وكان في جيشه أبو عبد الله محمد بن واسع[2]، فكان يكثر من السؤال عنه، حين أخبر أنه في ناحية من الجيش متئكا على قوسه، رافعا إصبعه إلى السماء ينضنض[3] بها، فقال قتيبة :"لأصبعه تلك أحب إلي من عشرة ألاف سيف[4].

وقد استعار عبد الواحد المراكشي عبارة الحميدي الأندلسي(488هـ/1095) التي وصف بها المستنصر، وعظيم جمعه للكتب من أنه" جمع من الكتب في أنواعه مالم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك " ليسقطها على حال الخليفة يوسف بن عبد الله عبد المؤمن ، وأنه جمع من الكتب مالم يجمعه ملك من ملك المغرب مالم يجمعه ملك المغرب[5].

وقد سخر ابن القطان معرفته بعلوم الحديث التي أخذها عن والده ، وعن العلماء الذين أجازوه، أو إلتقاهم صحبة والده في تونس أو مراكش[6]، في تأكيد مهدية ابن تومرت، وفضله وفضل الخلفاء الذين جاؤوا بعد.

فقد أثبت ابن القطان في كتابه بعض الأحاديث الموضوعة[7]، منها مانقله عن كتاب "فضائل المهدي" لأبي القاسم المؤمن المصري كقوله صلى الله عليه وسلم:"خير القرون الذي أنا فيه، ثم الذي أنا فيه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، والآخر أشق، ولا يقوم بالحق بعد الفترة التي

---

[1]– **قتيبة بن مسلم**: أبو حفص قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي تابعي وأمير فاتح، ولي الري أيام عبد الملك بن مروان ثم خرسان أيام ابنه الوليد ، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 3، ص ص 86، 91.

[2]–**محمد بن واسع**: أبوبكر محمد بن واسع بن جابر ابن الأخنس، ويقال: أبو عبد الله الأزدي، البصري، فقيه، زاهد ورع من ثقات المحدثين حدث عن أنس بن مالك ومحمد بن سيرين ومحمد ابن الصامت، وغيرهم، مناقبه مشهورة، توفي سنة 123هـ/741م، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 253، 340.

[3]–**ينضنض**: النض الإظهار، ونضنض: كثر ناضه، أي دراهمه ودنانيره، وننضنضه أي تحركه، والنضنضة: صوت الحية، ينظر: الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج 2، تح يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2007، ص 781.

[4]–عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 363.

[5]–الحميدي(أبو عبد الله محمد بن فتوح ت 488هـ/1095)، **جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس** ، تح محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت، ص 13.

[6]–ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1، ص 125.

[7]–قام محمود مكي بتخريج بعض الأحاديث التي أوردها ابن القطان وترك البعض الآخر وأشار إلى بعضها في كتاب" أعز مايطلب" لابن تومرت، ينظر: نظم الجمان، ص ص 80، 95، 96.

تحدث في الخلق بعد هذه القرون إلا المهدي، والرجل القائم بأمره ومن يليه من الخلفاء بعد، رضي الله تعالى عنهم "[1].

وما نقله عن أبي القاسم المؤمن مرفوقا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه فرس ببعض بلاد المغرب لم تلد الخيل أسبق منها ولم يكن فيها عيب إلا أنها لم يسمع لها صهبل قط،فلما خل الاسكندر ببلاد المصامدة وشربت تلك الفرس من مياهها صهلة صهلة اصطكحت منها الجبال، فكتب الاسكندر إلى الحكيم يخبره بذلك فكتب إليه أنها بلاد شر، وقسوة، فعجل الخروج منها[2]

وعندما وصف عبد الواحد المراكشي الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن(558هـ-580هـ/1163-1184م) ركز أكثر على ما كان الخليفة يبديه من إيثار للعلم وتعطش إليه أخذ يكثر من العلوم منها علوم الحديث والفقه واللغة والأدب والنحو والطب، لكن همته في تعلم الفلسفة دفعته إلى الأمر بجمع كتبها فاجتمع له منها الكثير، لذلك شبهه عبد الواحد بقريب مما اجتمع للخليفة الأموي الحكم الثاني المستنصر بالله(350-366هـ/961-976م) الذي عرف بحب العلم وأهله، وجمع الكتب من الأقطار مشرقها ومغربها، يرسل إلى الأقطار من يشتري له الكتب بأغلى الأثمان[3].

وبالغ عبد الواحد المراكشي مبالغة مكشوفة لدارسي التاريخ إذ ذكر أن الخليفة المنصور(580-595هـ/1184-1198م) توغل في بلاد الروم، حتى وصل إلى مواضع لم يصل إليها ملك من ملوك المسلمين قط ثم رجع إلى مدينة إشبيلية[4]، إذ من الثابت أنا أقصى ما وصله المنصور كان وادي الحجارة[5].

---

[1] -لم يرد الحديث بهذه الصورة في أي من كتب الصحاح أو السنن أو المسانيد فالنص عند البخاري هو:" خيركم قرني ثم الذين ثم الذين يلونهم-قال عمران: فما أدري قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله مرتين أو ثلاثا- ثم يكونوا بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون لا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن، ينظر: البخاري (أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن إسماعيل ت256هـ/878م)، **صحيح البخاري**، تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1987.

[2] -عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 259.

[3] -نفسه، ص 302.

[4] -نفسه، ص 360.

[5] -**وادي الحجارة**: بلد بالأندلس، ينسب إليه عبد الباقي ابن محمد بن سعيد بن بريال الحجار أبو بكر، مات ببلنسية في مستهل رمضان سنة 502هـ، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 59.

ودون استقرار[1]، وهو دون حدود الدولة الأموية في الأندلس، بل ودون ما وصلته الفتوحات الإسلامية هناك[2].

ولا شك أن تجاوز الحقائق التاريخية وإغفال إنجازات رجالات الإسلام السابقين وكفاحهم في سبيل نشر الإسلام لا يمكن أن يكون خطأ غير مقصود من جغرافي ومؤرخ كعبد الواحد المراكشي الذي ضمن كتابه "المعجب" معلومات جغرافية نادرة.

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 300

[2]- المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 264، 265.

4- دورهم في رسم الصورة التاريخية للدولة الموحدية:

رسمت كتابات مؤرخي البلاط الموحدي صورة تاريخية عن الدولة الموحدية بهدف تقديمها بواقع يختلف عن واقعها الحقيقي، ويتماشى مع سياسة حكامها، ونهج ابن تومرت، خصوصا عبد المؤمن بن علي الذي وجد نفسه بعد وفاة شيخه في حاجة ماسة الى تأكيد شرعيته في قيادة الحركة الموحدية، لذا تبنى مؤرخو البلاط مجموعة من الأفكار لإثبات أنه أولى من غيره بخلافة ابن تومرت وذلك على النحو التالي:

اهتموا إهتماما بالغا بقصة اللقاء الذي حدث بين ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي، لما لعبد المؤمن من دور أساسي في تكوين الدولة الموحدية، لذلك اهتموا بهذا اللقاء وأضفوا عليه صبغة أسطورية[1]، وهو اللقاء الذي أظهروه في مظهر السر الأزلي الذي حلت رموزه وانكشفت أحداثه لتحول وجهة التاريخ في المغرب، ويتحقق الوعد المسطور منذ القدم[2]، بظهور دولة موحدية مؤمنية وتبرير استيلاء عبد المؤمن وبنيه على السلطة بعد وفاة ابن تومرت.

فلقد خدم البيذق عبد المؤمن بن علي بإخلاص، ولازمه في حروبه ضد المرابطين وفي فتوحاته وحركاته[3]، وظل يخدمه حتى وفاته، ومن خدمته له تبرير إستيلائه على السلطة الموحدية عبر تبشير ابن تومرت به وإظهار موافقته على خلافته له.

ويذكر البيذق أن عبد المؤمن بن علي كان إذا أراد النوم قال له ابن تومرت:"وكيف ينام من تنتظره الدنيا ؟ "،وظل ابن تومرت يكرر عليه ذلك شهرا بعد أول لقاء بينهما[4].

وبعد وفاة ابن تومرت طمع كل واحد من أصحابه إلى خلافته وكانوا من قبائل شتى، ولتأكيد أحقية عبد المؤمن بالخلافة، يروي البيذق أن ابن تومرت عندما التقى عبد المؤمن بن علي وعرفه

---

[1]- البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**،ص ص 37-41،ابن القطان،المصدر السابق،ص 77.

[2]- عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص 92.

[3]- البيذق ، المصدر السابق، ص 83.

[4]- نفسه ، ص 44.

بعلاماته أظهر له كتابا–كتابا الجفر[1]– فيه تنبؤ صريح بما سيكون له من شأن في إقامة صرح الدولة الموحدية.

ويستند ابن القطان على مجموعة من الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أقوال ابن تومرت يدلل بها على أن الخلافة في عبد المؤمن بن علي وعقبه إلى قيام الساعة،كما يذكر، بل ويؤكد أن ابن تومرت قد صرح بخلافته بعده، منها قول ابن تومرت متنبئا بظهور أمر عبد

المؤمن بن علي واتساع سلطانه:"سيركبك الخيل "[2] وقول ابن تومرت بعد هزيمة الموحدين في معركة البحيرة سنة 524هـ/1130م :"أسلم عبد المؤمن؟ قالوا :نعم، قال: فالأمر باق إلى قيام الساعة[3].

ولتأكيد الدور الكبير الذي أداه عبد المؤمن بن علي لإقامة الدولة الموحدية زمن ابن تومرت وبعده، أثبت مؤرخو البلاط الموحدي بعضا من قصص بطولته وشجاعته التي تضاف إلى ما وهبه الله برأيهم من صفات ومكارم.

فلقد كان من نتاج العلاقة المتينة التي ربطت عبد الواحد المراكشي بأبناء الخليفة عبد المؤمن بن علي وأبنائه[4]، أن أثنى كثيرا على الخليفة عبد المؤمن بن علي وأضفى عليه الكثير من الصفات البديعة، ومن وصفه له بأنه كان محبا إلى النفوس لايراه أحد إلا أحبه بديهة[5].

حاول مؤرخو البلاط الموحدي تصوير الدولة الموحدية على أنها الدولة المنتظرة والمنقذة للعالم الإسلامي فقد ذكر ابن القطان وعبد الواحد المراكشي على أن ابن تومرت كان يبشر أتباعه ومريديه بامتلاك المغرب والمشرق وفتح الأرض[1].

---

[1]– كتاب الجفر :هو كتاب اقتبسه ابن تومرت من الشيعة، كما حكي أنه ادعى أنه اطلع عليه وتعرف في زعمه على صفات عبد المؤمن بن علي حين لقيه في ملالة، محمد أحمد إسماعيل المقدم، المهدي ، الدار العالمية للنشر والتوزيع ،(د، ط) الإسكندرية،2004م ،ص 409.

[2]– ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 170، 203.

[3]– نفسه ، ص 171.

[4]– عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق، ص 256، 302.

[5]– نفسه ، ص 266.

وهو أمل طالما أعلن الخليفة المنصور (580-595هـ/1184-1198م) عزمه على إمضائه فتلفقه مؤرخو البلاط وعلى رأسهم عبد الواحد المراكشي الذي أدركه ما بلغته الدولة الموحدية من ازدهار وقوة في عهد المنصور فوضع في كتابه عنوانا عريضا هو" عزم أبي يوسف على قصد مصر " وتحته ذكر المراكشي أن المنصور صرح للموحدين بالرحلة إلى المشرق، وجعل يذكر البلاد المصرية، وما فيها من المناكر والبدع ، ويقول:" نحن إن شاء الله مظهروها " ولكن عاجلته منيته قبل أن يمضي عزمه هذا[2].

وقد أثرت مثل هذه الإشاعات الدعائية في تصوير الدولة الموحدية وكأنها المنقذ الذي يلخص المصريين من مرارة حكم الدولة العبيدية الشيعية.

وبلغت ثقة ابن تومرت بإقامة دولته الجديدة، أنه كان يعطي كما يذكر البيذق لبعض من يلتقيهم فيكرموه، ويظهرون القبول لأمره، كتبا بخط يده بدعوى أنها ستجلب لهم ولعقبهم الخير بعد ظهور أمره، وقيام دولته على أنقاض المرابطين[3].

ويصور ابن القطان تهاوي البلدان أمام عبد المؤمن بن علي في فترة تأسيسه لدولته على أنها كرامة من كراماته ، بانجازه وعد ابن تومرت للموحدين بالظهور وامتلاك الأرض[4].

ونهض كما يشير ابن صاحب الصلاة لإتمام مبتغاهم في غلبة من أطلق عليهم " الكفار المرتدين الأشقياء الفجار " من النصارى والمرتدين ممن بايع للموحدين ونكت بيعتهم، بل وكل من خالفهم وعاداهم[5].

وتفاني ابن القطان في إظهار التأييد الرباني للموحدين في قتالهم للمرابطين بعدة إشارات، منها أن يحمل الواحد من الموحدين على عشرة من المرابطين فيهزمهم، أو يرسل الله المطر الغزير على المرابطين فينكفؤون إلى ديارهم[1].

---

[1]- ابن القطان ،المصدر السابق ،ص 185 و عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق ،ص356 .

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص 360.

[3]- البيذق ، أخبار المهدي ابن تومرت ، ص ص 44،45.

[4]- ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 185.

[5]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 72 ،73.

لا يكاد يذكر مؤرخو البلاط موضعا ولا مدينة ولا قبيلة حل بها ابن تومرت في طريق عودته من المشرق، إلا وتصدى بها للمنكر والفساد، بما يقتضيه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حارب لأجله المرابطين حتى يميتوا المنكر ويحيوا المعروف كما يدعي[2].

وتحقيقا لذلك فقد أظهر مؤرخو البلاط المرأة المرابطية في صورة البعيدة عن تعاليم الإسلام منطلقين في ذلك من وصف ابن تومرت لهن بأنهن كاسيات عاريات، وأن رؤوسهن كأسمنة البخت المائلة[3].

حيث ركز البيذق على مسألة اختلاطهن بالرجال وإظهارهن لزينتهن في الأماكن العامة[4]، في حين ردد ابن القطان وصف ابن تومرت السابق لهن، مع تشبيهه للنساء بالرجال في الكشف عن الوجه بلا تلثم، ولا تلطم[5].

ويتفق ابن الأثير وابن خلدون في أن كشف المرأة المرابطية لوجهها، كانت من عادات الملثمين المعروفة، إذا يسفر نساؤهم عن وجوههن ،ويتلثم الرجال[6]، وليس مقصودا به التبرج.

واعتراض ابن تومرت يشير إلى أن ظاهرة السفور لم تكن عامة بالنسبة لنساء المجتمع في العصر المرابطي وإلا ما كان هناك وجه للإعتراض عليه، وربما كان هذا خاصا بالمرأة المرابطية التي اعتادت هذا الأمر، ومن هنا كان هجوم ابن تومرت على النساء المرابطيات دون غيرهن من نساء المجتمع[7].

ولو كان كذلك لما تردد البيذق في ذكره في كتابه ولن يتوانى برهم في التطاول على المرابطيات ولكنه لم يشر إلى حادثة أخت الأمير، أو سواها[8]، ثم لا يخفى أن المجتمعات الحضرية –سواء في

---

[1]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص ص 160 ،161.

[2]– البيذق ، **أخبار المهدي ابن تومرت** ، ص ص 36،37 ، عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق ، ص ص 245–247.

[3]– عبد الواحد المراكشي،نفسه ، ص385.

[4]– ابن تومرت ، المصدر السابق ، ص 385.

[5]– البيذق ، المصدر السابق ،ص ص 36،37 ،38.

[6]– ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 228.

[7]– إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 1 ص 217.

[8]– البيذق، المصر السابق، ص ص 56–59.

الدولة الموحدية أو الدولة المرابطية – وبالذات العواصم الكبيرة لا تخلو من تصرفات تتعارض والأخلاق الإسلامية، وقد أدرك ابن خلدون ذلك فقال :" وأهل الحضر لكثرة مايعانون من فنون وعوائد الترف والإقبال على الدنيا، والعكوف على شهواتهم منها،قد تلوثت بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم في ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم، فتجد الكثير منه يقعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم، لا يصدهم عنه وازع الحشمة، لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالفواحش قولا وعملا"[1].

لقد قدمت كتابات مؤرخي البلاط الموحدي الدعاية الأزمة لحكام الدولة الموحدية، وأسهمت في رسم معالم صورتها الداخلية والخارجية وتدعيم شرعية قيامها في أذهان المعاصرين لهم والناقلين عنهم من مؤرخين وغيرهم.

[1]– ابن خلدون، **المقدمة**، ص 164.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا التي تناولت موضوع الدور العلمي لمؤرخي البلاط الموحدي، يتبين لنا أن البلاط الموحدي أنجب نخبة من المؤرخين، الذين كانت لهم بصمات واضحة في تدوين حوادث التاريخ الموحدي بصفة خاصة، وتاريخ بلاد المغرب والأندلس بصفة عامة.

وسنلخص ما توصلنا إليه في النقاط التالية:

تعتبر مصنفات ابن تومرت المصدر الأول لدراسة تاريخ الدولة الموحدية في عصرها الأول وذلك باعتبار أن هذه الدولة قامت على أساس دعوة ابن تومرت الفكرية، وهي رغم أسلوبها الديني إلا أنها تناقش العديد من الأحداث التاريخية للدولة الموحدية.

تفوق مؤرخو البلاط الموحدي في عدد المصادر المكتوبة التي رجعوا إليها وأن غالبية المصادر المكتوبة تم إستخدامها في إستشهادات تاريخية لتأكيد المسائل المتصلة بالموحدين كانتساب ابن تومرت وعبد المؤمن إلى البيت النبوي، وكان البيذق وابن القطان في طليعة أولئك المؤرخين في هذا الجانب لتعصبهما الشديد للدعوة الموحدية

تميزت مصنفات مؤرخي البلاط عن غيرهم أنهم كانوا يستقون أخبارهم من الوثائق الرسمية للدولة، منتهزين فرصة عملهم في البلاط، وبالرغم من أنهم وقعوا تحت بعض التأثيرات الشخصية أو المذهبية أو السياسية حقيقةً، فإنهم تركوا لنا تراثًا تاريخيًّا ضخمًا؛ ذلك أنهم لم يدَّخروا وسعًا في سبيل تسجيل أحداث عصرهم، وضبط مواقيت حدوثها، وإعطاء معلومات وصفية واسعة النطاق ممَّا يجعل الباحث في تاريخ الدولة الموحدية بصفة خاصة لا يمكنه الاستغناء عن هذه المصادر لما تحويه من معلومات في غاية الأهمية.

رسمت كتابات مؤرخي البلاط الموحدي صورة زاهية عن الدولة الموحدية وحكامها، تختلف عن واقعها الحقيقي ورسمت صورة أحرى سيئة عن الدولة المرابطية تختلف عن واقعها كدولة إسلامية مجاهدة.

مجمل القول أن العصر الموحدي كان أحسن حظا في تناول المؤرخين له من العصور السابقة خاصة أن الدولة نفسها قد اهتمت بكتابة تاريخها، ووجهت إليه الكتاب والمؤرخين لكن ينبغي الحذر

من المنظور الذي رصدت به هذه المصادر وقائع التاريخ الموحدي ومجرياته، وهو منظور التشيع للموحدين والدفاع عنهم، فالبيذق كان أكثر مؤرخي الموحدين ولاء لابن تومرت واعتقاده بمهديته وعصمته تلاه ابن القطان ثم ابن صاحب الصلاة، فالبيذق أكثرهم تعصبا، لكن ابن القطان أكثرهم خطورة بحكم درايته، وعلمه واستماتته في الدفاع عن فكر ابن تومرت وأرائه في حين أن ابن صاحب الصلاة كان أكثر اعتدالا لكونه أديبا أكثر منه مؤرخا، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه وإن لم يظهر اعتقادا واضحا بفكر ابن تومرت إلا أنه دافع عن الموحدين وجمل صورتهم.

وفي الأخير نرجو أن نكونا قد وفقنا في عملنا هذا، ونسأل الله تعالى أن يكون فاتحة لما سيأتي من دراسات تنير الجوانب المظلمة في هذا المجال.

الملاحق

الملحق رقم : 01

العنوان الكامل لكتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة

[1]

السفر الثاني من كتاب

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين
بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين،
وتضمن الإمام المهدي بالموحدين على اللثمين
وما في مسافي ذلك من خلافة الامام
الخليفة امير المومنين وآخر الخلفاء الراشدين

انهى قاليفه وابدع تحبيره وتصنيفه
عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي
رحمه الله

1-ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 59.

الملحق رقم :02

آخر صفحة من كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة يوضح أن هذا القسم يمثل الجزء الثاني

كمل السفر الثاني من كتاب «تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين
بأن جعلهم أيمة وجعلهم الوارثين». وصلى الله على محمد
وآله، يتلوه في الثالث بحول الله: سنة تسع وستين
وخمس مائة خبر وصول العلج الطاغي.

1- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 437.

الملحق رقم:03

عبارة كثيرا ما يرددها ابن صاحب الصلاة في كتابه" المن بالإمامة" عند شعوره أنه ابتعد عن موضوعه

رجع الخبر :

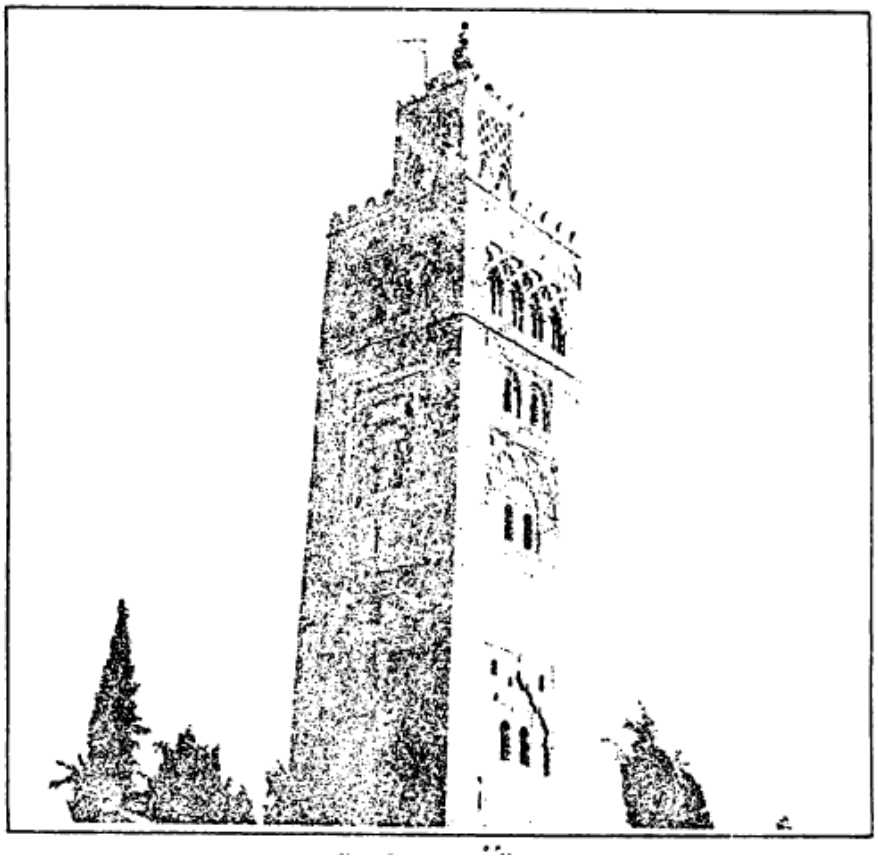
خبر غزوة امير المؤمنين بن أمير المؤمنين الغزوة الأولى[1] من غزواته بجزيرة الأندلس الى مدينة وبذة[2] في السنة المذكورة سنة سبع وستين وخمس مائة وفتحه في مسيره المعقل الاشب حصن بلج القشيري[3] وحصن الكرس[4]وتدويخه نظر اقليس[5] وسرته[6]، ومنازلته وبذة المذكورة على ترتيب المراحل والحلول في المنازل.

خرج[7] سيدنا أمير المؤمنين أبو يعقوب رضي الله عنه من حضرته

1-ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 378، 398.

الملحق رقم:04

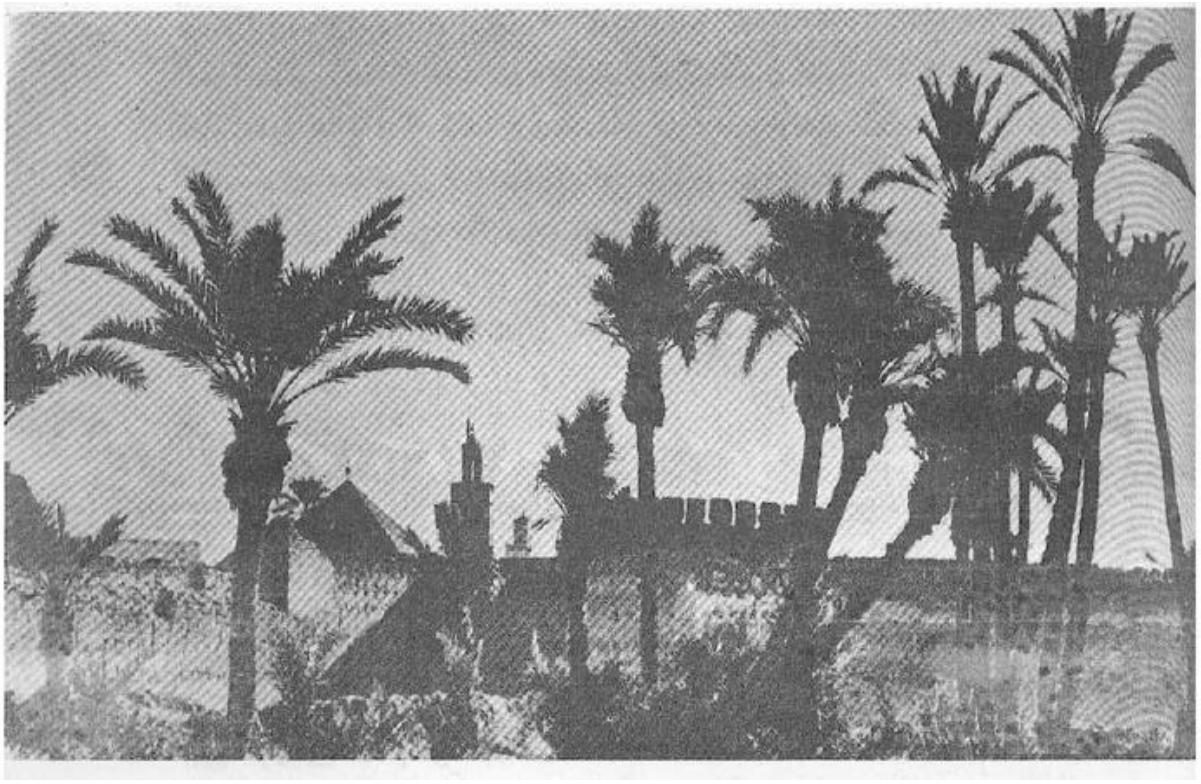
المسجد الأعظم لمدينة أشبيلية



1–ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 333.

الملحق رقم:05

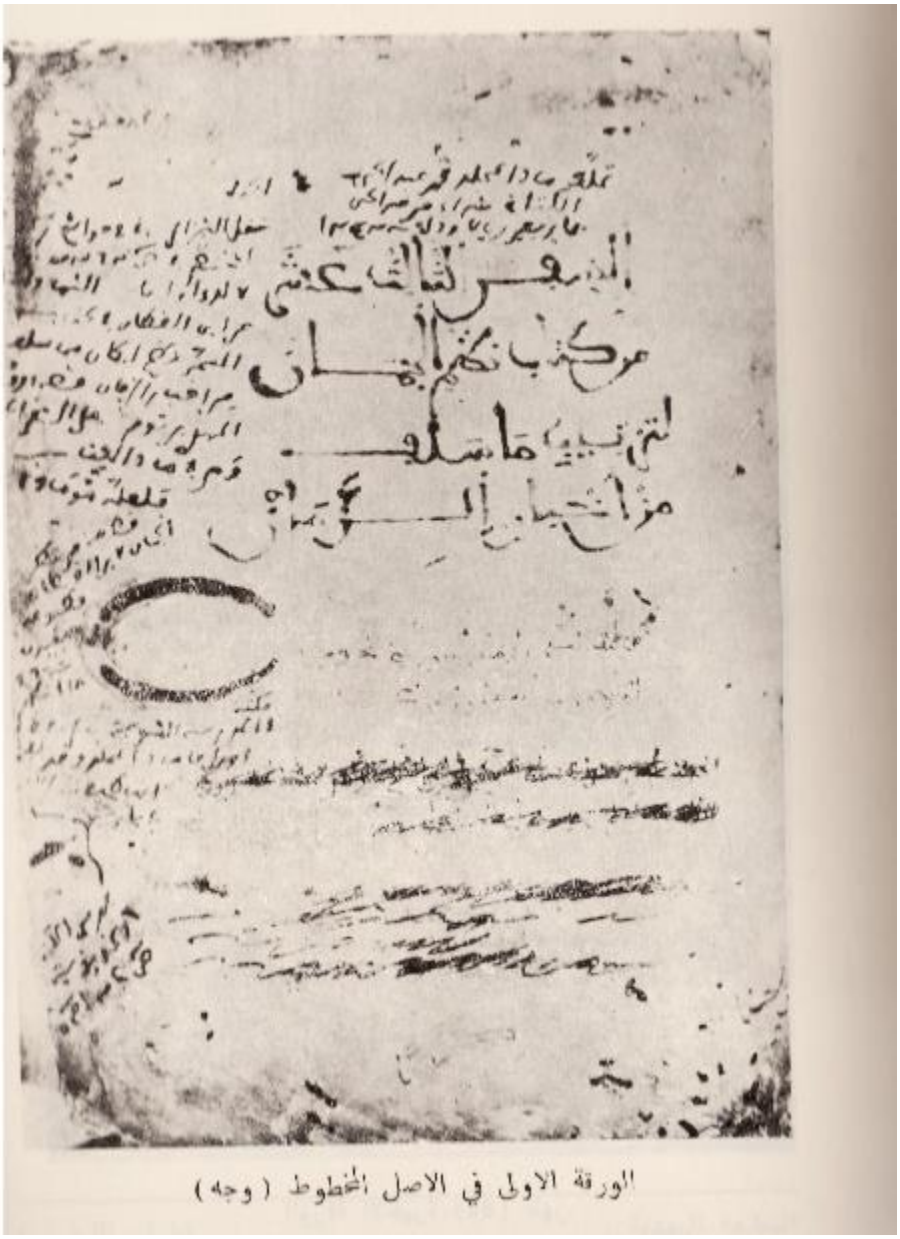
مدينة مراكش عاصمة الموحدين



1-إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، ص195.

الملحق رقم:06

السفر الثالث عشر من كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" الورقة الأولى من المخطوط



الورقة الاولى في الاصل المخطوط (وجه)

1-ابن القطان، المصدر السابق، ص 59.

قائمة البيبليوغرافيا

القرآن الكريـــــــــــــم.

1-المصادر:

1-ابن أبي زرع (علي بن أبي زرع الفاسي)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد بن منصور، المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، 1999م.

2- أحمد بابا التنبكتي(ت 1626/1036م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، (د ت).

4-ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي(ت658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة** تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

5-ابن الأبار، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، سلسلة ذخائر العرب(58)، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

6-ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، جزء 9، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 1995م.

7- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني، تحقيق على الأرجح سنة 560هـ/1165م، **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق**، جزء 2، مكتبة الثقافة الدينة، القاهرة، 1994م.

8- البخاري، أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن إسماعيل (ت256هـ/878م)، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1987م.

9- البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدي**، تحقيق عبد الوهاب منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م.

10- البيذق، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار منصور للطباعة والوراقة، الرياض، 1971م.

11- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح (ت 488هـ/1095)، **جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.

12-ابن الحنبلي، أحمد بن محمد بن عماد ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، جزء 4، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، (د، ت).

13-ابن الخطيب، لسان الدين (ت:776هـ/1374)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج 3، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.

14- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، جزء 19، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،(د، ط)، بيروت، 1999م.

15-ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت 1025هـ/1616م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، جزء 2، دار المنصور للطباعة والوراقة، دط ، الرباط، 1974م.

16-ابن القطان، أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الملك الفاسي (ت 628هـ)، **بيان الوهم والإيهام**، تحقيق الحسين أيت سعيد مجلد 1، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض، 1997م.

17-ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد الفاسي (ت ق 7هـ)، **نظم الجمان في أخبار الزمان**، تحقيق محمد مكي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1962م.

18- المراكشي، عبد الواحد (ت 647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دون طبعة ، الجمهورية العربية المتحدة(سابقا)، 1962م.

19- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت546هـ/1157م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق كمال حسن مرعى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2008م.

20- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الخامسة، بيروت، 2008م

21-ابن تومرت، محمد، أعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغنى للنشر،الرباط

22 – ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.

23- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مجلد 5، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

24 -ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت803هـ /1303م) **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الخامس(القسم الأول)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت، 1973م.

25- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، الرومي، البغدادي ، **معجم اليلدان**، مجلد 2، دار صادر، بيروت، 1977م.

2-المراجع:

1-إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

2-إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم في القرن 9هـ/15م، ج 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،2000.

3-إبن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى دار الفكر، ط 1، بيرزت، 1997، ص 109، وبين قائل أنها كانت 637هـ/1239

4-أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8هـ، دراسة لرسائله، مطبعة الرباط، دط، المغرب، 2010م.

5- أسد رستم، مصطلح التاريخ، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 2002م.

6-جمال طه، الحياة الإجتماعية في المغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصري المرابطين والموحدين)، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندية، 2004م.

7-رشيد بورويبة و أخرون، الجزائر في التاريخ، ج 3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م.

8-روجي لي ترونو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر،تع أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع، ط2 الدار البيضاء،1998

9-سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج 3، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.

10-سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج 5، منشأة المعارف، ط 1، الإسكندرية، 2000م.

11-عبد الحميد النجار، المهدي ابن تومرت، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1983

12-عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ط 6، 1983

13-عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية،1997م.

14-عبد العليم خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط 2، 1990م.

15-عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، ط1،القاهرة، 1962

16-عبد الله علام، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن، دار المعرفة، القاهرة، ط 1، 1964م.

17-عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس(عصري الموحدين والمرابطين في المغرب والأندلس)، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة (دون تاريخ).

18-عبد الله كنون، النبوغ المغربي، دار الكتاب اللبناني، ج 1، لبنان، ط 3

19-عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، ج1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2010

20-علي أدهم، بعض مؤرخي الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط، بيروت، 1974

21-علي صدقي أزايكو، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004م.

22-كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط 1، دار العلم للملايين، 1948

23-مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976،

24-المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، المكتبة العصرية، ط 1، صيدا، ،بيروت،د ت.

25-محمد أحمد إسماعيل المقدم ،المهدي ، الدار العالمية للنشر والتوزيع ،الإسكندرية،2004

26-محمد المنوني، العلوم والأداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط 2، الرباط، 1988

27-محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج 1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، ط1 بيروت، 1993

28-محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الأداب بالرباط، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، 1999

29-محمد عبد الله عنان، **الآثار الباقية في إسبانيا والبرتغال**، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة،1997.

30-مهدي رزق الله أحمد، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، دار إمام الدعوة، ط 2، الرياض، 2003.

31-يحي بوعزيز، جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، مجلة الأصالة، الجزائر، رقم 26

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان الرقم

شكر

إهداء

مقدمة.....

المبحث الأول:.....

أولا: لمحة موجزة عن قيام الدولة الموحدية.....

ثانيا: فكر وعقيدة ابن تومرت.....

ثالثا: إسهامات خلفاء الموحدين في الحياة العلمية.....

أ-العلوم النقلية:

القراءات.....

التفسير.....

الحديث.....

علم الكلام.....

الفقه.....

علوم اللغة العربية.....

ب-العلوم العقلية:

التاريخ.....

الفلك والنجوم.....

المبحث الثاني: ترجمة مؤرخو البلاط الموحدي

أولا: أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت 580هـ/1184).....

ثانيا: أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة (ت تقريبا 590هـ/1198م).....

ثالثا: أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي (ت 647هـ/1249م).....

رابعا: أبو محمد حسن ابن علي بن محمد الكتامي المعروف بابن القطان (ت تقريبا 670هـ/1271م).....

المبحث الثالث: الدور العلمي لمؤرخي البلاط الموحدي

أولا: أهم مؤلفاتهم وطريقة عرضها وترتيبها.....

ثانيا: العوامل المؤثرة في توجيه كتاباتهم.....

ثالثا: أثر ثقافتهم في الدعاية للموحدين.....

رابعا: دورهم في رسم الصورة التاريخية للدولة الموحدية.....

الخاتمة:.....

قائمة الملاحق.....

قائمة البيبليوغرافيا.....

فهرس الموضوعات.....